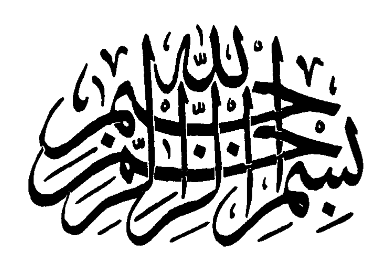
خطب الشيخ

محمد حسان

الجزء الثاني عشر

دار ابن رجب


بسم الله الرحمن الرحيم

خُطَبُ الشَّيخ

مُحَمَّد حَسَّان

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٨٣٩٣٥

المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزى رحمه الله تعالى [1] :

« ولقد جلستُ يوماً فرأيتُ حَولى أكثَر من عشرة آلاف ، ما فيهم إلاَّ مَنْ قد رَقَّ قلبُــه ، أو دَمَعتْ عينُه ، فَقُلــتُ لِنَفْسِى كَيفَ بك إنْ نَجَــوْا وهَلَكْت ؟!

فَصِحْتُ بلسان وَجْدى : إلَهى وَسَيْدى إنْ قَضَيْتَ عــَلىَّ بالعذاب غداً فلا تُعلمهُم بِعَذابى ، لَئَلا يَقُولوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَليْه » .

---

(١) صيدُ الخاطر ص (٣٢١) طبعة دار اليقين .



تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : تَشَرُّف دار ابن رجب للنشر والتوزيع أن تقدم لقرائها الكرام ((**الجزء الثاني عشر**)) من سلسلة خطب ((فاكهة الدعاة)) فضيلة الشيخ المبارك / **محمد حسان** حفظه الله تعالى .

وشيخنا المبارك غني عن التعريف ، فهو معروف مشهور في الشرق والغرب عند العرب والعجم .. وخطبه تملأ الدنيا شرقاً وغرباً في بلاد الكفر ، وبلاد الإسلام .

فقد أنزل الله جل وعلا محبته على قلوب الخلق ، والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((**إنَّ اللهَ تعالى إذَا أَحَبَّ عَبْداً ، دَعَا جِبْرِيلَ عَلَيْه السَّلاَمُ فَقَالَ : إِنِّي أُحبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**))[٢].

---

(٢) **متفق عليه** : البخاري رقم (٧٤٨٥) في التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ، ومسلم رقم (٢٦٣٧) في البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبداً .

أيها القارئ الكريم :

وهذه بعض خطب الشيخ – حفظه الله – نادى بها من فوق أعواد منبر النبي ﷺ نسأل الله أن ينفع بها مقروءة كما نفع الله بها مسموعة ، ونظراً لضيق وقت الشيخ – نسأل الله أن يبارك فيه وأن يمتعه بوافر الصحة – وكذا حاجة كثير من الخطباء لمثل هذا الكتاب فقد قمنا بإعداد هذا الجزء للنشر وترتيبه وتخريج أحاديثه .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب الشيخ المبارك ، وأن يكون في ميزان حسناته يوم العرض عليه ، وأن يكون حجه له لا عليه ، وأن يبارك له في وقته وصحته ، وعلمه ، وماله ، وأهله ، وولده إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كما أسأله – تعالى – أن ينفع بهذا الكتاب ناشره وقارئه وحامله والمنفق فيه وأن يشملني معهم في هذا النفع وأنه يجعله ممتداً إلى الآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

أبو عبد الرحمن عوض بن لطفي

عالمية الإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء : ١].

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله :

أي يوم هذا الذي نحياه الآن ، أي يوم هذا الذي نعيشه الآن ، إنه يومٌ عظيمٌ كريمٌ على الله جل وعلا ، إنه يوم عرفة في يوم جمعة إنه يوم عرفات في يوم الجمعة ، وفي الصحيحين[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر ﷺ وقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا اليوم عيداً فقال عمر بن الخطاب : أي آية ؟ فقال اليهودي : قوله تعالى : ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ... ﴾ [المائدة : ٣].

فقال عمر بن الخطاب : والله إني لأعرف أي يوم نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، فلقد نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفه في يوم جمعة .

ففي مثل هذا اليوم أيها الأحباب وقف الحبيب المصطفى ﷺ في وادي عرفات في يوم جمعة ونزل عليه قول رب الأرض والسموات ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ فإن دين الإسلام دين أهل السماء .. ودين أهل الأرض .. ودين الجن المؤمن .. ودين جميع الأنبياء ودين جميع المرسلين : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ**

---

(١) البخاري رقم (٤٤) في الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ومسلم رقم (٣٠١٧) في التفسير .

نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

بل إن الإسلام دين النصارى الذين آمنوا بعيسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – قال جل وعلا : ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

فإننا اليوم أيها الأحباب في يوم عرفة وفي يوم جمعة .. إنه فضل الله جل وعلا يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. ففي هذا اليوم تتجلى عالمية الإسلام في عرفات .. هذا أحمر .. وهذا أبيض .. وهذا أسود والكل يقف الآن على عرفات وقد رفعوا أكف الضراعة إلى رب الأرض والسموات ، هذا يخاطب الله بالعربية .. وذاك يخاطب الله بالباكستانية .. وذاك يخاطب الله بالانكليزية .. وذلك يخاطب الله بالفرنسية .. وسبحان من لا تختلف عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات .

يسمع كل أحد .. ويجيب كل أحـــد .. ويعرف ما يقوله كل أحـــد « ... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ** »[1] .

سبحان الله الذي لا تختلف عليه اللغات .. ولا تشتبه عليه الأصوات .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم .

يقف الجميع الآن لتظهر عالمية الإسلام في عرفات ، لكن الذي يدمي القلب ويؤلم النفس أن يجتمع المسلمون من كل فج عميق ومن كل حدب وصوب في هذا التجمع العالمي الكبير ، ثم ينفضون ولا حَرّكوا ساكناً ، ولا غيروا واقعاً وما وجهوا دفة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!.

هذه دماء المسلمين تنْزف بغزارة في كل مكان ، وهاهي برك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في ألف مليون مسلم .

وَأَيْنَ هُمُـــوا إِذَا وَعَـــتْ الجِـــرَاحُ

مَا ثَمّ مُعْتَصِم يُغيثُ مَنْ استَغَاثَ بِهِ وَصَاحَ

يأتي هذا الجمع من كل فج عميق وسرعان ما ينفض وما أثّر في شيء وما غير شيئاً .. وما حرك ساكناً .. وما اهتم العالم كله بهذا التجمع !!! لأنهم يعلمون أن المسلمين الآن غثاء كغثاء السيل كما قال الصادق المصدوق ﷺ : ((**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم كَمَا تَتَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**)) قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟! . قال : ((**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئذ كَثِير ، وَلَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاء السَّيْل وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُور عَدوّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَنْ**)) قيل : وما الوهـــن يا رسول الله ؟ . قال : ((**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**))(١).

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب في تداعى الأمم على الإسلام ، وأخرجه أحمد في المسند (٥/٢٧٨) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨) .

ولكنه يومٌ تتجلى فيه رحمة الحق جل وعلا على عباده الضعفاء ، فإنه سبحانه الذي خلقنا .. وإنه يعلم ضعفنا .. ويعلم فقرنا .. ويعلم عجزنا .. ويعلم تقصيرنا فيتجلى برحمته - جل وعلا - على حجاج بيته الحرام ، الذين تركوا الديار والأهل والأموال والأوطان وراحوا ليقفوا اليوم على عرفات وقد سُكبت منهم العبرات .. وضجّت منهم الأصوات .. وارتفعت لهم الدعوات .. ليتجلى عليهم رب الأرض والسموات ويباهي بهم ملائكته .

ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ الله تَعَالى يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَات أَهَلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمْ : جَاؤُونِي شُعْثاً غُبْراً** »[1]. وفي رواية « **مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيق يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي ، فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي أُشْهِدكُمْ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ** » ، والحديث حسن ، بل ومن علمائنا من قال عنه حديث صحيح متصل الإسناد «**أُشْهِدكُمْ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ** » .

إنه يوم الرحمات أيها الأحباب ، ولذا ورد في صحيح مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلائكَةَ فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ ؟** »[2].

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٢٤ ، ٣٠٥) ، والحاكم في المستدرك (١/٤٦٥) ، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (١٣٤٨) في الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفه .

إنه فضل الله جل وعلا ، ولذا أرى أيها الأحباب أنه من الجفاء ألا نصحب اليوم حجاج بيت الله الحرام بأنفاسنا ، إن لم يكن بأشخاصنا وأجسامنا فتعالوا بنا سريعاً نطير على جناح السرعة إلى بيت الله الحرام لنتعرف على قصة هذا البيت ، ومن الذي بناه ، وما الذي جعل القلوب في كل مكان تهوى إليه . استمع أيها الحبيب الكريم يقول الله جل وعلا : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧]

أيها الحبيب الكريم : ورد في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه سأل الحبيب المصطفى ﷺ وقال : يا رسول الله أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أوَّلَ ؟ (أي ما هو أول المساجد التي بنيت في هذه الأرض) ، فقال الحبيب المصطفى : ((**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**)) قال أبو ذر : ثم أيُّ ؟ قال الحبيب المصطفى : ((**الْمَسْجِدُ الأَقْصَى**)) قلت (أي أبو ذر) : كم كان بينهما ؟ قال الحبيب : ((**أَرْبَعُونَ سَنَةً**)) ، ثم قال : ((**وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةَ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ**))[1] فإن أول بيت بُني لله في أرضه هو المسجد الحرام .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٤٢٥) في أحاديث الأنبياء ، باب ((ووهبنا لداود سليمان ...)) ، ومسلم (٥٢٠) في المساجد في فاتحته .

وقال علماؤنا : إن أول من بني البيت هم الملائكة ، ومنهم من قال : إن أول من بني البيت هو آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : إن أول من بني البيت هو إبراهيم عليه السلام .

والراجح : أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعا القواعد من البيت ، فإن قواعد البيت كانت قديمة وجاء إبراهيم وإسماعيل بأمر الله جل وعلا ليرفعا هذه القواعد كما قال ربنا سبحانه : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨].

القواعد : يعني الأساس كان قديماً ، وجاء إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعد البيت بأمر الله جل وعلا ، وفي الحديث الطويل الذي جاء في البخاري[1] من حديث ابن عباس أنه قال لما جاء إبراهيم بهاجر وإسماعيل عليهما السلام ، ووضعهما عند البيت عند دوحة (شجرة كبيرة) فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحدٌ ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قَفىَّ إبراهيم منطلقا (أي ولي راجعاً إلى الشام) فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا

(١) **صحيح** : البخاري (٣٣٦٤) في أحاديث الأنبياء ، باب « يزفون » .

يلتفت إليها ، فقالت له : الله الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت .

أحبتي في الله : نريد أن نتعلم اليقين الذي علمته للدنيا كلها هاجر – عليها السلام – وهاجر من هنا خرجت ، فمن مصر خرج اليقين أيها الأحباب ، فنريد أن نعود إلى هذا اليقين وأن نعود إلى هذه الثقة بالله ، وأن نعود إلى هذا التوكل الصادق على الله جل وعلا .

يا عبد الله : اعلم بأن الضُّرَ والنَّفْعَ بيد الله ، واعلم بأن الرزق بيد الله ، واعلم بأن الأمر كله بيد الله فعليك أن تثق في الله ، وأن تلجأ إلى الله وحده وأن تستعين بالله وحده ، وأن تفوض أمرك كله لله وحده .

إياك أن تسأل غيره ، أو تذبح لغيره ، أو أن تحلف بغيره ، أو أن تطوف بغير بيته في مكة ، أو أن تسأل غيره ، أو أن تتوكل على غيره .

يا صاحب الهمَّ إن الهـــمَّ منفرج ... أبشر بخـــير فإن الفـــارج الله

إذا بليت فثـــق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

الله يحدث بعـــد العسر ميسرة ... لا تجـــزعن فإن الصـــانع الله

قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [الأعراف : ٩٦].

ولكن شكوا في قدرة الله ، وما قدروا الله – جل وعلا – حق قدره . من توكل عليه كفـــاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن فـــوض الأمر إليه هداه

﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣].

قالت هاجر : آلله الذي أمرك بهذا ؟ : قال إبراهيم : نعم . قالت هاجر : إذا لا يضيعنا !!

وانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا ورفع يديه بهؤلاء الدعوات : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها وتشرب من ذلك الماء الذي كان معها حتى إذا نفد ما في السِّقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر . هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة ، فقامت عليه ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ ((**فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا**)) ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسَّمعت ، فسمعت أيضاً ، فقالت : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ، فإذا هي

بالملك عند موضع زمزم فبحث بعَقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تُحَوِّضُهُ وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يَفُورُ بَعْدَما تغرفُ . قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : ((**يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ**)) أو قال : ((**لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً**)) قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها المَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعَةَ ، فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يُضيعُ أهلَهُ .

قال : ثم لبث عنهم (أي إبراهيم عليه السلام) ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمرك ربك . فيقول إبراهيم : وتعيُنني ؟ قال : وأعينُك . فقال : إن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أَكَمَة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقــام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهمــا يقولان ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدوراً حول البيت وهما يقولان : ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ .

قال العلماء : لما قام إبراهيم عليه السلام على الحجر غاصت قدماه فيه وهذا هو المقام الذي نراه الآن في مواجهة باب الكعبة شرفها الله وقد أثرت

فيه أقدام الخليل ﷺ ، وهذا هو القول الراجح في قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ فالمقام في اللغة هو موضع الأقدام ، فالمقام هو الذي قام عليه إبراهيم ليعلي البناء فغاصت قدمه ﷺ فيه ليثبته الله – جل وعلا – ولما أنهى إبراهيم البناء إلاَّ موضع الحجر الأسود ، فقال : انطلق يا بني فابغي حجراً لنكمل البناء ، فانطلق إسماعيل ليأتي بالحجر الأخير ثم عاد فوجد حجراً ليس من جنس حجارة الكعبة فاستغرب وتعجب إسماعيل وقال : يا أبتي من الذي جاءك بهذا الحجر . فقال إبراهيم : جاءني به من لم يتكل على بنائي وبنائك جاءني به جبريل من السماء ، وهذا الحديث رواه الإمام الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبه وابن جرير والبيهقي في الدلائل وحسنه الحافظ ابن حجر .

لما أنهى إبراهيم البناء أمره الله جل وعلا أن يؤذن في الناس بالحج . فقال إبراهيم ومن الذي يسمع صوتي يا رب . فقال الله جل وعلا : ((**أَذِّنْ أنت وعلينا البلاغ**)) . فقال إبراهيم : فماذا أقول ؟ فقال الله جل وعلا : ((**قل يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا**)) يقول الحبيب المصطفى : ((**فسمعه مَنْ بين السماء والأرض ، ألا ترى إلى الناس يجيئون من كل فج عميق يلبون ويقولون لبيك اللهم لبيك**)) ، والحديث رواه الحاكم وابن جرير والبيهقي بأسانيد قوية كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب الحج .

وهكذا أيها الأحباب أتم إبراهيم وإسماعيل البناء بأمر الله عز وجل .

هذه قصة البيت بإيجاز شديد ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (وبكة هي مكة) ، وسميت مكة ببكة لشدة الزحام ، فالبك في اللغة هو الزحام ، وقيل أيضاً : البك هو دك العنق ، فمن قصد مكة بسوء من جبار إلا ودق الله عنقه وكلكم يعلم قصة أصحاب الفيل ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ [الفيل : ١- ٥].

﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** ﴾ والبركة هي كثرة الخير ، ولقد امتن الله على أهل البيت بهذا فقال سبحانه : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾ [قريش ٣ - ٤].

﴿ **مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ (أي في البيت) من هذه الآيات البينات مقام إبراهيم وقلت لكم بأن مقام إبراهيم هو الحجر الذي وقف عليه ليعلي البناء ، وكان هذا الحجر ملاصقاً لجدار الكعبة إلى عهد عمر بن الخطاب ﷺ فلما تولى عمر الخلافة أخر هذا المقام إلى المكان الذي نراه الآن أمام الكعبة حتى لا يعوق الطائفين عن الطواف حول بيت الله الحرام ﴿ **وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا** ﴾ (أي ومن دخل هذا البيت كان آمناً).

قال علماء اللغة : والآية خبر بمعنى الأمر (أي ومن دخله فأمنوه) كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ أي لا ترفث ولا تفسق ولا تجادل في الحج ، ومن العلماء من قال من دخل البيت الحرام على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمنا من عذاب رب الأرض والسماء جل وعلا كما في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : ((... **وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّةُ**))[1] وفي قوله ﷺ : ((**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**))[2] .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

أما بعد فيا أيها الأحبة ..

يقول الحق جل وعلا : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ من منَّ الله عليه بالاستطاعة (أي بالنفقة) وجب عليه أن يحج وألا يتراخى عن أداء الفريضة ، فإننا نعلم كثيراً من أحبابنا وإخواننا منَّ الله عليهم بالصحة ومنَّ الله عليهم بالمال ، ولكنهم إلى الآن ما فكروا في حج بيت الله الكبير المتعال !! وفي مسند الإمام أحمد والحديث حسن أنه ﷺ قال : ((**تَعَجَّلُوا**

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٩) في الحج ، باب فضل الحج والعمرة .

(٢) رواه البخاري (١٨١٩) في المحصر ، باب قوله تعالى : ﴿ **فلا رفث** ﴾ ومسلم (١٣٥٠) في الحج ، باب فضل الحج والعمرة .

الحَج)) يعني الفريضة ((**فَإِنَّ أَحَدكُمْ لاَ يَدْرِيَ مَا يُعْرِضْ لَهُ**))[١].

يا من لم تؤد الفريضة وقد منَّ الله عليك بالمال دبّر من الآن واعقد النية والعزم من الآن على أن تؤدي حج بيت الله الحرام فإنه ركن من أركان إسلامك ومن أركان دينك ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ﴾ واللام في قوله : وَلِلَّهِ هي لام الإلزام والإيجاب فإن الحج فريضة وركن من أركان الدين . فإن منّ الله عليك بالمال و لم يمنّ عليك بالصحة فاستأجر بمالك من يحج عنك بشرط أن يكون هذا الذي ستستأجره قد حج عن نفسه أولاً لأن النبي سمع رجلاً يلبي بالحج يقول : لبيك عن شبرمة . فقال النبي : ((**مَنْ شُبْرُمَةَ ؟**)) قال رجل أحج عنه . فقال النبي ﷺ : ((**أَحَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ؟**)) قال : لا . قال الحبيب : ((**فَحُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَة**))[٢].

فيا من منّ الله عليك بالمال وسلب منك الصحة استأجر رجلاً حج قبل ذلك ليؤد عنك الفريضة ولا تسوف ولا تتأخر ولا تتواني ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ .

انتبه : هناك خطأ يقع فيه كثـــير من الناس – بحسن نية أو بغير ذلك إذ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٣١٤) ، وفي سنده أبو إسرائيل الملائي واسمه إسماعيل بن خليفة وهو ضعيف ، وضعفه الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – في تعليقه على المسند .

(٢) **صحيح** : أبو داود (١٨١١) في الحـــج ، باب في الرجل يحج عن غيره ، وابن ماجة رقـــم (٢٩٥٦) في المناسك ، باب الحج عن الميت ، وصححه الألباني في الإرواء (٩٩٤) .

حد الاستطاعة للمرأة مع الزاد والراحلة : المَحْرَم ، والمحرم هو أحد محارمها ، لابد للمرأة – إذا ما أرادت أن تسافر للحج أو لغيره – من محرم يسافر معها ، وليس هذا الكلام من عندنا ولكنه كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ بل لقد ورد في الصحيحين أن رجلاً جاء إلى المصطفى فقال : يا رسول الله . إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا (أي خرج غازياً في سبيل الله في غزوة من الغزوات) وامرأتي خرجت لتحج بيت الله الحرام . أتدرون ماذا قال له الحبيب ؟!! قال الحبيب ﷺ : ((**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَة إلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمَ ، وَلاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذي مَحْرَمَ**))[1] فقال رسول الله ﷺ : ((**انْطَلِقْ فَحُجَّ مع امْرَأَتكَ**)) و لم يأذن له أن يخرج للغزو في سبيل الله .

﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ** ﴾ .

قال ابن عباس ومن كفر بفريضة الحج و لم يؤمن بأنه واجب وبأنه ركن من أركان دينه فإن الله غني عن العالمين . لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

أيها الأحباب الكرام : إنها رحلة إيمانية مباركة تغفر فيها الذنوب وتمحى فيها العيوب .. وتتجلى فيها رحمات علام الغيوب جل وعلا .. ويرجع أهلها إن صدقوا الله سبحانه وتعالى رجعوا كيوم ولدهم أمهاهم بغير ذنب وبدون خطيئة .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٠٠٦) في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش ، ومسلم (١٣٤١) في الحج ، باب سفر المرأة من محرم إلى حج وغيره .

فيا من منّ الله عليك لا تبخل على نفسك فإن المال إلى زوال وإن الدنيا إلى فناء .. وإن ورثتك هم الذين سينعمون بمالك بعد موتك .. أما أنت يا مسكين فستسأل بين يدي الله جل وعلا عن كل صغير وكبير في هذا المال من أين جئت به ؟ وفيم أنفقت ؟ ورحم الله من قال :

النَّفـسُ تجـزَعُ أن تكـونَ فَقـيرَة
والفقـرُ خَـيرٌ من غِـنَى يُطْغِيهَـا
وَغِـنَى النفُـوسِ هُـوَ الكَفَـافُ
فَإن أَبَتْ فجميعُ ما في الأرضِ لا يكفيهَا
هِي القَنَـاعةُ فالْزَمْهَـا تَكُنْ مَلِكـاً
لَو لَمَ تَكُـنْ لَـكَ إلاّ رَاحـةُ البدنِ
وانْظُر لِمَـن مَلَكَ الدُّنْيـَا بأَجْمَعِهَـا
هَل رَاحَ مِنْهَـا بغَـيرِ القُطنِ والكَفَنِ

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال : ((**يَتْبَعُ المَيْتَ ثَلاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَان وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ . يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**))[١] هو الذي ينفعك أيها الحبيب ويخاطبك بلسان الحال رجعوا وتركوك ، وفي

(١) رواه البخاري (٦٥١٤) في الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم (٢٩٦٠) في الزهد والرقائق ، في فاتحته .

التراب وضعوك ، وللحساب عرضوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، و لم يبق لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت .

أسأل الله – جل وعلا – أن يتقبل منا ومنكم ومن حجاج بيت الله الحرام صالح الأعمال

...... الدعـــاء

صرخات من القدس الجريح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله :

والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لما حل بأمتنا لمحزونون :

ففي كل بلد على الإسلام دائرةٌ يَنْهدُّ من هولهـــا رضوى وثهلانُ
ذبحٌ وصَلْبٌ وتقتيل بإخوتنـــا كما أَعِدَّت لتُشفي الحقدَ نيرانُ
يستصرخون ذوي الإيمان عاطفة فلم يُغْثهُمْ بيوم الروع أَعْـــوَانُ
فهل هذه غَيرةٌ ؟ أم هذه ضَيْعَةُ ؟ للكفرِ ذكـــرٌ وللإسلامِ نسيانُ

برك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في كل بقاع الدنيا في كل مكان ذُبِّح أبناؤنا تذبيح الخراف ، بل لقد وضع الطفل على النيران ليشوى جسده أمام والده المسكين وبعدما انتهى المجرمون من شي الولد أمام والده قطعوا الطفل قطعاً صغيرة وأجبروا والده تحت التهديد والتعذيب والوعيد أن يأكل من لحم ولده ، من فلذة كبده ، من ثمرة فؤاده ، ثم بعد ذلك أطلقوا عليه النيران فقتلوه ..!!

أختك . أختك التي انتهك عرضها .. وضاع شرفها .. وها هي الآن يا ابن الإسلام تصرخ عليك وترجوك رجائها الأخير .. أتدرون ما هو رجائها الأخير ؟!! إن أختك – التي انتهك عرضها وضاع شرفها – تصرخ عليك الآن وتقول : اقتلوني .. واقتلوا العار بين أحشائي .. اقتلوا ولدي من السفاح والزنى !! هذا هو رجاؤها الأخير !! وذلك بعدما صرخت طويلاً .. طويلاً .. حتى انقطع صوتها وضاع أنينها .. وراح صوتها .. وهى تقول واسلاماه ..

واسلاماه ، وامعتصماه .. وامعتصماه ، ولكن أين المعتصم ؟

مـــا ثم معتصم يغيث   من استغاث به وصاح
ذبحــوا الصبي وأمـــه   وفتاتها ذات الوشـــاح
وعدوا على الأعراض   في انتشاء وانشـــراح
يا ألف مليون وأين هم   إذا دعت الجـــراح ؟
مـــا ثم معتصم يغيث   من استغاث به وصاح

برك الدماء وأكوام الأشلاء . تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في كل مكان ، في البوسنة ، في الصومال ، في كشمير ، في الهند ، في الفلبين ، في بورما ، في تركستان ، في أفغانستان ، في طاجكستان ، في الجزائر ، وأخيراً في فلسطين . برك الدماء وأكوام الأشلاء .. ولازال المشاهدون من كل بقاع الدنيا قابعين في مقاعدهم يشاهدون هذه المسرحية الهزلية المحرقة منهم من يبارك هذه التصفية ، ومنهم من يبارك هذه الإبادة ، ومنهم من جلس يمسح عينيه بمنديل حرير !! ولكنه مازال مصراً على أن يقبع في مقعده ليشاهد آخر فصول هذه المسرحية الهزلية المحرقة !! طاردتني هذه الصور المؤلمة التي تحرق فؤاد كل مسلم حي . هذا إن كنا لازلنا نحمل في الصدور أفئدة ، إن كنا لازلنا نحمل في الصدور قلوب ما كفنت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

طاردتني كما طاردت كل مسلم صادق ، هذه الصور المؤلمة التي تحرق القلب ، صورة هذا الطفل المسكين الذي لا ذنب له ولا جريمة إلا أنه ولـــد

فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة ، فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ ، وقام اليهود المجرمون الذين لا يعرفون رحمة ولا يعرفون شفقة ، حتى بعدما احتمى الطفل بأبيه وراح يدفع يديه خائفاً من هؤلاء المجرمين ، وراح الوالد المسكين يرفع يده مستسلماً ، ولكن هيهات .. هيهات .. هيهات أن يعرف اليهود الرحمة ، اللهم إلا إذا دخل الجمل في سَمِّ الخياط ، فأطلقوا الرصاص على رأس هذا الطفل المسكين فأردوه قتيلاً ، وإن شئت فقل لقد قتلوا أباه وإن لم يمته الرصاص ، تصور أن يموت ولدك بين يديك بهذه الصورة التي تحرق الأفئدة ، والله لقد نظرت إلى أطفالي بالأمس القريب .. نظرت إليهم وتخيلت أن قاذفة من قاذفات العدو اليهودي قد سقطت على بيتي .. على أهلي وأولادي فتمزقت أشلاء أولادي بين يدي وأمام عيني ، والله عبثاً حاولت النوم .. فأنى للقلوب التي تعرف حقيقة الإيمان ، فأنى للقلوب التي ذاقت حلاوة الولاء والبراء أن تعرف طعم النوم ، وأن تعرف طعم الراحة .

طاردتني صورة الطائرات والدبابات والصواريخ والمدفعية تدك بيوت الفلسطينيين العزل الذين لا يملكون إلا إيماناً بالله عز وجل .. ثم الحجارة .. ثم الحجارة .. ثم الحجارة !!

وطاردتني صورة امرأة عجوز يتساقط بيتها وهي تنظر إلى سقف البيت يتحطم ولا تملك أن تفعل شيئاً على الإطلاق .

وطاردتني صورة الأقصى الجريح وهو يئن ويستجير ، وهو يصرخ في المسلمين واإسلاماه .. واإسلاماه .. واإسلاماه .. لكن من يجيب ؟!! من يجيب ؟!! القدس يصرخ .. لكن من يجيب ؟ كنت أصرخ ، ولكن الصرخة في صحراء مقفرة في صحراء مهلكة .

عبثاً دعوت وصحت يا أحـــرار … عبثـــاً لأن قلوبنــــا أحجـــار
عبثاً لأن عيوننا مملوءة بالوهـــم … تُظْلِــمُ عندهـــا الأنـــوار
عبثـــاً لأن شؤننـــا يا قـــومنا … في الغـــرب يفتل حُبُلُهـــا وتدار
ولأننــــا خشـــب جــــامدة … فما ندري مـــاذا يصنع المنشار ؟
أمـــا سقوط الأقصـــى فحـــالة … مألوفـــة تجـــري بهـــا الأقـــدار
هـــذه شـــئون القـــــدس ليس … لنا بها شأن وما للمسلمين خيار
يا ويحكم يا مسلمون قلوبكم ماتت … فليســـت بالخطـــوب تثـــار
أنكرتم الفعل الشنيع بقولكم شكراً … شكراً لكـــم لن ينفع الإنكـــار
شكراً علـــى تنظيم مؤتمراتكـــم … وعلى القـــرار يصاغ منه قـــرار
وعلى تعاطفكم فتلك مزية فيكم … تصـــاغ لمدحهـــا الأشـــــعار
يا ويحكم يا مسلمون نسائكم في القدس … يسألن عنكم والدمـــوع غـــزار
هذه تساق إلى سراديب الهوى سوقاً … وتلـــك يقودهـــا الجـــــزار
لو أن سائحة من الغرب اشتكت … في أرضكـــم لتحرك الإعصـــار
أما الأطفال أما الصغار فلا تسأل عن … حالهم مرض وخوف قاتل وحصار

واليهود يذبحون ويقتلون وما لهم ... ناصـــر ودمـــع عيونهم مـــدرار
يا ويحكم يا مسلمون تنسون أن ... الضعف في وجه العدو مذلة وصغار
هذه هي القدس يحرق ثوبها عمداً ... ويهتـــك عرضهـــا الأشـــــرار
تبكـــي وأنتم تشربون دموعهـــا ... وعن الحقـــائق زاغت الأبصـــار
وهذا هو الأقصـــى يُهَوَّد جهرة ... وبجرحـــة تتحـــدث الأخـــبار
هذا هو الأقصـــى يطحنه الأسى ... وجموعكـــم يا مسلمون عـــــار
مليار كـــم لا خـــير فيه كأنمـــا ... كتبت وراء الواحـــد الأصـــفار
ما جَـــرَّأَ اليهـــودُ إلا صمتكـــم ... ولَكَـــمْ يَذِلُ بصمتـــه المغـــوار
خـــابت سياسة أمـــة غاياتهـــا ... تحقيق مـــا يرضـــى به الكفـــار
يا قدس أرسل دمـــع العين مدرار ... عميق الحزن وصب النَزف أنهارا
يا قدس تـــاه الأهل والأحـــباب ... وعـــدت بأرض الأنبياء كـــلاب
قدساه أرض النور دنسها الدجى ... والحق ضـــاع وتاهت الأنساب
قادت قرود الإفك قافلة الهـــدى ... وسجى بوجـــه النائمـــين ذباب
ليكود برآسة شارون ليكود قاد عصابة ... يعلوا بها بالقدس مكر محدق وحراب
طعنوا بهـــا الشرفاء طعن مذلـــة ... فثوى بقدس المعجزات خـــراب
والقبـــة العظمى تسيل دماؤهـــا ... والقدس يبكـــي واشتكى المحراب
وبدا اليهود بأرضنـــا وكأنهـــم ... أصحاب أرض ما لهـــا أصحاب
ضـــاعت فلســـطين الجريحـــة ... واعتلى أقصى المساجد بالسواد ثياب

قدساه أين الفاتحـــون وعزهـــم ؟ أين الجهاد الحـــق والألبـــاب ؟
ماذا أصـــاب المسلمين فهل ترى يجـــدي لديهم بالخطـــوب عتاب

اليهود هم اليهود .. كررنا ذلك حتى بحت الأصوات ، لكن الأمة لا تريد أبداً أن تصدق رب الأرض والسماوات ، متى وَفَّى اليهود بعهد على طول التاريخ ؟!.

قلت : لقد نقض اليهود العهود مع الأنبياء ومع رب الأرض والسماء ، وأسأل بمرارة : هل ينقض اليهود العهود مع الأنبياء ورب الأرض والسماء ثم يفي اليوم اليهود بالعهود للحكام والزعماء ؟! .

لقد ماتت عملية السلام ، قلنا ذلك مراراً قبل ذلك فلم يصدقنا أحد .

فحال أمتنا حال عجيبة وهي لعمر الله بائسة كئيبة
يجتاحها الطـــوفان طوفـــان المؤامـــرة الرهيبـــة
ويخطط المتـــآمرون كـــي يغرقـــوها في المصيبـــة
وسيحفرون لهـــا قبـــوراً ضمن خططهم الرهيبة
قالوا السلام السلام قلت يعود الأهل للأرض السليبة
وسيلبـــس الأقصـــى غـــــداً أثـــواباً قشـــيبة
فإذا سلامهم هـــو التنازل عن القـــدس الحبيبـــة
فبئس سلامهم إذاً وبئست هـــذه الخطط المريبـــة
فالمســـجد الأقصـــى فـــي الدمـــاء له ضريبـــة

الله تبارك وتعالى خلق اليهود وهو وحده الذي يعلم من خلق ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤]. قال جل وعلا ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة : ١٠٠].

وقال جل وعلا : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ** ﴾ [المائدة : ١٣].

أي على خيانة بعد خيانة هذا كلام ربنا جل وعلا ولا أريد أن أقف مع آيات القرآن فالآيات كثيرة قال جل جلاله : ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : ٦٠].

قال جل وعلا : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٧٨ - ٧٩].

ها هو القرآن يُقرأ ويتلى في الليل والنهار .. لكن من يصدق كلام العزيز الغفار ؟! ومن يصدق كلام النبي المختار ﷺ ؟!

اليهود قومُ بُهتٍ وقومُ خيانة .. متخصصون في نقض العهود .. والله الذي لا إله غيره لن تأتي في إسرائيل وزارة تحترم عهوداً أُبرمت في أوسلو ، أو مدريد ، أو تل أبيب ، أو كامب ديفيد الأولى .. والمليون ، لن تكون

هناك وزارة أو حزب عمل أو حزب ليكود يحترم عهداً أو ميثاقاً ، فهذه جبلة اليهود وطبيعة اليهود منذ أول لحظة هاجر فيها المصطفى ﷺ إلى المدينة ، وقام عبد الله بن سلام حبر اليهود فنظر إلى وجه النبي ﷺ فعرف أنه ليس بوجه كذاب فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال للمصطفى يا رسول الله اليهود قوم بهت (أي أهل ظلم ينكرون الحقائق) . فاكتم عنهم خبر إسلامي وسلهم عني .

فجمع النبي بطون اليهود ، وقال لهم : ((**ما تقولون في عبد الله بن سلام**)) قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وابن حبرنا ، فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول السلام ﷺ ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فردوا جميعاً على لسان وقلب رجل واحد في حق عبد الله ابن سلام وقالوا : هو سفيهنا وابن سفيهنا .. وجاهلنا وابن جاهلنا !! هذه طبيعة اليهود منذ اللحظات الأولى لم تتغير ولن تتغير ، فمتى يفيق النائمون ؟

ليعلم الكل علم اليقين أن أمريكا ليست شريكاً نزيها في عملية السلام ، كلا وألف كلا ، الكفر ملة واحدة ، لا يمكن أبداً لأمريكا أن تنصر قضية من قضايا الأمة . لا يمكن أبداً لهيئة الأمم أن تنصر قضية من قضايا الأمة ، لا يمكن أبداً لحلف الناتو أن ينصر الأقلية المستضعفة من المدنيين في فلسطين من أجل سواد عيون الأمة ، ولا تُخْدَعوا بتدخل حلف الناتو في كوسوفا لأنهم ما تدخلوا إلا لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية . هذا أمر لا

ينبغي أن يجهله الآن مسلم أو مسلمة على وجه الأرض .. الكفر لا ينصر توحيداً ، الكفر لا ينصر إسلاماً ، الكفر ملة واحدة ، إنهم يشاهدون على شاشات التلفاز كل ليلة ما يحدث لإخواننا وأخواتنا وأطفالنا في فلسطين لكن .

أين النظـــام العالمـــي ؟ أما له أثر ؟ ألم تنعق به الأبـــواق ؟
أين السلام العالمي ؟ لقد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق
يا مجلس الخـــوف الذي في ظله كُسر الأمان وضيع الميثاق
أو ما يحركك الذي يجرى لنا أو ما يثيرك جـــرحنا الدفاق
وحشية يقف الخيـــال أمامها متضـــائلاً وتمجهـــا الأذواق

هذا هو الغرب يا من خُدِعتم بالغرب طيلة السنين الماضية .

هذا هو الغرب أيها المرجفون .. يا من تعزفون على وتر التقديس والتمجيد للغرب في كل المناسبات !!

قالـــوا لنا : الغـــرب قلت :	صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا
لكنه خـــاوٍ من الإيمـــان لا	يرعى ضعيفاً أو يسر حزينـــا
الغرب مقبرة المبـــادئ لم يزل	يرمي بسهم المغريات الدينـــا
الغرب مقـــبرة العدالة كلما	رُفعت يد أبدى لهـــا السكينا
الغرب يكفر بالسلام وإنمـــا	بسلامه الموهـــوم يستهوينـــا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصة	فعلام يحمل قومنا الزيتونا ؟!

كفـــرٌ وإسلامٌ فأنـــى يلتقي ... هـــذا بذلك أيها اللاهونا ؟!

أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... ولكـــن ألوم المسلم المفتونـــا

وألوم أمتنا الـــتي رحلت على ... درب الخضوع ترافـــق التنينا

وألـــوم فينا نخـــوة لم تنتفض ... إلا لتضربنـــا علـــى أيدينـــا

يا مجلس الأمن :

شكراً لقد نبهت غافل قومنا ... وجعلت شك الواهمين يقينـــا

يا مجلس الأمن انتظر إسلامنا ... سيريك ميزان الهدى ويرينـــا

إن كنت في شك فسل فرعون ... عن غرقٍ وسل عن خسفه قارونا

متى يفيق النائمون ؟ فشهداؤنا بين المقابر يهمسون

والله إنا قادمون ، والله إنا عائدون ، والله إنا راجعون

شهداؤنا خرجوا من الأكفان .. وانتفضوا صفوفاً .. ثم راحوا يصرخون

عار عليكم أيها المستسلمون .. وطن يباع !!

وأمة تنساق قطعانا .. وأنتم نائمون

شهداؤنا قاموا وزاروا المسجد الأقصى

وطافوا في رحاب القدس واقتحموا السجون

في كل شبر من ثرى الوطن المكبل ينبتون !!

في كل ركن من ربوع الأمة الثكلى أراهم يخرجون !!

شهداؤنا وسط المجازر يهتفون .. الله أكبر .. إنا عائدون

شهداؤنا يتقدمون .. أصواهم تعلو على أسوار فلسطين الحزينة
في الشوارع .. في المفارق يهدرون
إني أراهم في الظلام يحاربون !!
رغم انكسار الضوء في الوطن المكبل بالمهانة والمجون
شهداؤنا وسط المجازر يهتفون .. والله إنا عائدون .. والله إنا عائدون
أكفاننا ستضيء يوما في رحاب القدس .. سوف تعود تقتحم الحصون
شهداؤنا في كل شبر يصرخون .. يا أيها المتنطعون !!
كيف ارتضيتم أن ينام الذئب في وسط القطيع وتأمنون ؟!
وطنٌ بعرض الكون يعرض في المزاد وطغمة الجرذان في الوطن الجريح يتاجرون
أحياؤنا الموتى على الشاشات في صخب النهاية يسكرون !!
من أجهض الوطن العريق وكبل الأحلام في كل العيون ؟!!
يا أيها المتشرذمون .. والله إنا قادمون
شهداؤنا في كل شبر في البلاد يزمجرون
جاءوا صفوفاً يسألون يا أيها الأحياء ماذا تفعلون ؟!
في كل يوم كالقطيع على المذابح تصلبون !!
تتسربون على جناح الليل كالفئران سراً .. للذئاب هرولون
وأمام أمريكا تقام صلاتكم فتسبحون !!

وتطوف أعينكم بها .. وفوق ربوعها الخضراء يبكي الساجدون
صور على الشاشات جرذانٌ تصافح بعضها !!
والناس من ألم الفجيعة يضحكون !!
تباع أوطان .. وتسقط أمة .. ورؤسكم تحت النعال وتركنون
تسلم القدس العريقة للذئاب ويسكر المتآمرون !!
القدس تسألكم أليس لها حق عليكم ؟ أين فر الرافضون ؟!
أين غاب البائعون ؟ أين راح الهاربون ؟ الصامتون الغافلون الكاذبون ؟
صمتوا جميعاً والرصاص الآن يخترق العيون !!
وإذا سألت .. سمعتهم يتصايحون .. هذا الزمان زمانهم في كل شيء في الورى يتحكمون
لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص .. فإنكم في كل شيء خاسرون
لن يترك الطوفان شيئاً .. كلكم في اليم يوماً غارقون !!
تجرون خلف الموت والنخاس يجري خلفكم
وغداً بأسواق النخاسة تعرضون
لن يرحم التاريخ يوماً من يفرط أو يخون .
كُهاننا يترنحون .. فوق الكراسي هائمون !!
في نشوة السلطان والطغيان راحوا يسكرون !!
وشعوبنا أرتاحت .. ونامت في غيابات السجون !!

نام الجميع .. وكلهم يتثائبون .. فمتى يفيق النائمون ؟!!

متى سترجع الأمة إلى ربها - سبحانه وتعالى - وإلى نبيها ﷺ لتحقق منهج الله في الأرض ، لتكون أهلاً لنصرة الله .

فالأمة تملك مقومات النصر نعم .. الأمة تمتلك الآن مقومات النصر .

وهنا يثور السؤال المرير : ما الذي أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية ؟!

من ذل ، وضعف ، وهوان ، وتشرذم ، وتشتت !!

تقسمت الأمة إلى أجزاء ، بل وتفتت الأجزاء هي الأخرى إلى أجزاء !! ما الذي أوصل أمة القرآن إلى هذه الحالة المزرية التي نراها عليها الآن ؟!!

وانتبه أيها الحبيب : لتتعرف على الجواب في كلمات قليلة حاسمة قاطعة قال تعالى : ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... ﴾ [الرعد : ١١]

ورب الكعبة لقد غيرت الأمة ، وبدلت ، وحرفت ، وابتعدت الأمة كثيراً عن المنهج الرباني الذي جاء به الحبيب المصطفى ﷺ .

يا شباب الصحوة : هذه سنة ربانية ثابتة .. ينبغي أن تستقر في القلوب قبل الأذهان والعقول .

إن الأمة قد انحرفت كثيراً عن المنهج الرباني في جانب العقيدة في جانب العبادة ، في جانب التشريع ، في جانب الاتباع ، في جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك .

ابتعدت الأمة كثيراً كثيراً - إلا من رحم ربك - عن المنهج الرباني الذي

جاء به رسول الله ﷺ .

ففي جانب العقيدة نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة على أيدي الكثيرين من أبناء الأمة – إلا من رحم ربك – والله جل وعلا يقول : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ [الحج : ٦٢].

استمعنا بأم آذاننا على شاشات التلفاز من يقول وهو يناجي رسول الله ﷺ : يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم ، وإن من فيض جودك الدنيا ودرها ، ومن علومك علم اللوح والقلم !!

نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة !!

في جانب العبادة : نرى كثيراً من صور العبادة الظاهرة ، والباطنة قد صرفت لغير الله جل وعلا . ذبح لغير الله !! وسئل غير الله !! واستعان كثير من الناس بغير الله !! وفوَّض كثير من الناس الأمور لغير الله !! بل ووثقت القلوب ببعض قوى الأرض وببعض دول الأرض أكثر من ثقتها بخالق السموات والأرض – جل وعلا – والله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ويقول : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣].

أما في جانب التشريع فابكي دماً بدل الدمع ، ضيعت الأمة شريعة ربها الكبير المتعال ، حرفت الأمة شرع ربها .. واستبدلت الأمة بالعبير بعراً .. وبالثريا

ثرى .. وبالرحيق المختوم حريقاً محرقا مدمراً .

أبت الأمة إلا أن تناقض قول ربها .. الله جل وعلا يقول : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ** ﴾ فأبا كثير من أبناء الأمة إلا أن يقول : إن الحكم إلا للمجالس الشعبية ، وللمجالس النيابية ، وللبيوت البيضاء والسوداء والحمراء والله جل وعلا يقول : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠].

غيرت الأمة شريعة ربها . يقرأ المسلم الآن في قرآن ربه : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...** ﴾ [المائدة : ٦].

ويلتزم بهذا الأمر الإلهي ويُضَيِّع في نفس السورة قول ربه : ﴿ **... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٤].

يلتزم بقول الله في سورة البقرة : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ...** ﴾ .

ويضيع في نفس السورة قول ربه : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ** ﴾ انفصام نكد ، ضيعت الأمة – إلا من رحم ربك – شريعة ربها !!.

وفي جانب الاتباع تغنت الأمة بحبها لرسول الله ﷺ ، وخرجت طائفة من الأمة تسخر بسنته وتهزأ بأوامره .. فاللحية عفن !! والنقاب خيمة !! والخنْزير الذي حرمه القرآن كان خنْزيراً هزيلاً في أرض الجزيرة .. أما خنازير

اليوم فإنها تربى تحت العناية الطبية وتحت الرعاية الصحية فما الداعي لتحريمها والخمر الذي حرمه القرآن كان قديماً ، أما خمر الآن فما الداعي لتحريمها وهي التي تسمى بالمشروبات الروحية !! وهكذا ادعت الأمة حب نبيها واتباع نبيها وسخرت من شريعته واستهزأت بسنته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما في جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك فحدث ولا حرج كثر الغش وقل الصدق ، وانتشر الخداع ، وقُدِّمَ الفارغون ، وقدم الخائنون وأُخِّرَ المؤتمنون وقدم الكاذبون وأخر الصادقون ، وصدق في الأمة قول الصادق المصدوق كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه وهو حديث صحيح : ((**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ ، وَيُخَوَّنَ فِيهَا الأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**))[1]. قيل وما الرويبضة يا رسول الله . قال : ((**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ**)) . غيرت الأمة أيها الأحباب والله عز وجل يقول : ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... ﴾ وأنا ما أريد أسكب اليأس والقنوط في قلوبكم ولكنني أريد أن أشخص الداء ولو كان مراً بطعم الحنظل لنحدد الدواء الناجح لهذا الداء ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) **صحيح** : رواه ابن ماجه رقم (٤١٠٨) في الفتن ، باب شدة الزمان ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٨٨٧) .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

أقول أننا نستبشر بخير ولكن بشرط ؟.. أن تعلن الأمة الآن الجهاد في سبيل الله ، وسَيُهْزَم اليهود ، لا أقول ذلك رجماً بالغيب ، ولا من ضغط الواقع المرير ولا من باب الأحلام الوردية الجاهلة ، ولا من باب الجهل بالواقع الذي تعيشه أمتنا ونحياه الآن بكل مآسيه ، كلا وإنما أقول ذلك من منطلق الحقائق الربانية والنبوية ، فهو كلام ربنا ، وكلام نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

تدبروا معي هذه الآية التي قرأتموها جميعاً ، وسمعتموها جميعاً ، لكن قَلَّ من انتبه .. ووقف معها ليتدبرها ، ألا وهي قول الله في سورة آل عمران في حق اليهود : ﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١١].

هل تصدقون الله رب العالمين وقال سبحانه : ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ...** ﴾ [الحشر : ١٤].

هذا كلام الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ... ﴾ [الأعراف : ١٦٧].

وقال جل وعلا : ﴿ ... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ .

وها هم اليهود يأتون ألفافاً من كل بقاع الأرض ليتحقق وعد الله في آية الإسراء الأولى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ - ٧].

تدبروا معي الآيات لنقف مع هذه البشارة العظيمة . فالحق وإن انزوى كأنه مغلوب فإنه ظاهر ، والباطل وإن انتفش كأنه غالب فإنه زاهق وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .. تدبر معي قول رب العالمين : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ إذا جاء وقت المرة الأولى لتدمير ما شيد اليهود

﴿ **بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا** ... ﴾ أي بعث الله على اليهود عباداً له ليسوموا اليهود سوء العذاب .

اختلف المفسرون في كتب التفسير ، فقد قرأت ما يزيد على عشرين تفسيراً في هذه الآيات فوجدت أن جُل المفسرين قد فسروا هذه الآيات بأن الذي سُلط على اليهود هم البابليون أو الرمان أو بختنصر ، فتدبرت الآيات مراراً وتكراراً ووقفت مع بعض أهل العلم من المحققين الذين قالوا : بأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا** ... ﴾ فالعبودية إن نُسبت لله لا تكون أبداً إلا للموحدين .

قال تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** ﴾ إذاً العبودية إن نُسبت لله تعالى وكانت خالصة له فهي من المؤمنين الصادقين ، والبابليون وثنيون ، والرومانيون وثنيون ، وبختنصر وثني ليس بمسلم ، فكيف يقال بأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية ؟! كلا ، إذاً من هم عباد الله الذين سلطهم الله على اليهود أول مرة ؟ إنهم أصحاب المصطفى ﷺ نعم ، فهم الذين طردوا اليهود من بني النضير ، من بني قينقاع ، من خيبر من بني قريظة ، وأخرجوهم من المدينة .

ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح

ﷺ يوم نزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس بيده ، ليكتب لأهل بيت المقدس من أهل إليا العهدة العمرية المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل قبل ذلك .

إذاً .. أصحاب النبي ﷺ هم عباد الله الذين دخلوا المسجد أول مرة ، ولذلك تدبر معي قول الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي على هؤلاء العباد الذين انتصروا عليكم .

وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا ، أي : على أبناء أصحاب النبي ﷺ من الموحدين والمؤمنين ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ** ﴾ أي أمد الله اليهود بأموال وها نحن نرى ﴿ **وَبَنِينَ** ﴾ وها نحن نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون ﴿ **وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾ والنفير هو نفير الحرب وها أنتم ترون اليهود يمتلكون إلى الآن مائتي قنبلة نووية وتمد أمريكا اليهود بالسلاح ، ثم قال لهم ربهم سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾ تدبر معي ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ** ﴾ أي المرة الثانية والأخيرة ﴿ **لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ أي ليسوء وجوهكم عباد الله من الموحدين والمؤمنين ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾ .. اللهم عجّل بهذه المرة يا أرحم الراحمين .

وها هو نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح أنه وضع يوماً يده على رأس أبي حوالة الأزدى ﷺ ثم قال النبي لأبي حوالة : ((**يا أبا حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل ، والبلايا ، والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**)).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : ((**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ**))[1] والله لا عزة للأمة ولا كرامة للأمة – بعد ما فعل اليهود ما فعلوا – إلا أن ترفع الأمة اليوم راية الجهاد في سبيل الله ، فليرفعها زعيم واحد من زعماء العرب وسينضوى تحت راية الجهاد في سبيل الله – بقيادته – ملايين الشباب ممن تحترق قلوبهم وتتشوق للشهادة في سبيل الله .

أيها المسلمون : كونوا على يقين جازم بأن الأمة لا ينقصها شيء من عدد ، وعدة ، وعتاد ، وقوة ، ولكن الأمة مهزومة من داخلها .

الله – جل وعلا – ما أمر الأمة إلا أن تعد قدر استطاعتها ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠]. إذا كان هذا الإعداد هو أقصى ما تملكه الأمة فما عليها بعد

---

(١) **متفق عليه** : البخاري (٢٩٢٦) في الجهاد ، باب قتال اليهود ، ومسلم (٢٩٢٢) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .

ذلك إلا أن تضحي بعشرات الآلاف من شبابها ممن يتشوقون الآن للشهادة في سبيل الله وأن ترفع راية الجهاد ، فلا عز لها ، ولا كرامة إلا بالجهاد وهذا هو كلام ربنا وكلام الصادق نبينا ، قال ﷺ : كما في مسند أحمد وسنن أبي داود والحديث صححه شيخنا الألباني من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال : ((**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعينَة وَرَضيتُمْ بالزرعِ ، وَأَخَــذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَــر وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ ، سَلّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**))[1].

أمَّا أنت والدي الفاضل ، وأنت أخي الحبيب ، وأنتِ أختي الفاضلة .

قد يسألني الجمع الذي بين يدي الآن ماذا نصنع نحن ؟ وما دورنا ؟

أقول لو خرجتم اليوم بهذه العقيدة ؛ بعقيدة الولاء والبراء .. بعقيدة الحب لله ولرسوله .. ثم بتحويل هذه العقيدة والحب لرسول الله ﷺ في حياتكم إلى واقع عملي وإلى منهج حياة وتبرأتم من اليهود ومن الشرك والمشركين ، وعلَّمتم نساءكم وبناتكم وأولادكم هذه العقيدة وأُشْرِبَ الجيلُ هذه العقيدة ، فإن هذه خطوة عملية على الطريق .

والله – عز وجل – لن يسألنا عن النتائج .. بل أمرنا أن نبذل أقصى ما في طوقنا وهذا هو الآن ما في مقدورنا نحن الضعفاء ، ولندع النتائج بعد ذلك إلى الله جل وعلا .

---

(١) **صحيح** : أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع ، باب في النهي عن العينة ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١١) .

ثانياً : ليستعد الآن كل رجل منكم للمرحلة المقبلة .. والله إن المرحلة القادمة لخطيرة ، وقد ينادى عليك بين عشية وضحاها ، إذا ما تعرض الجميع لحرج أمام اليهود . قد ينادى عليك بالخروج للجهاد في سبيل الله فإن المرحلة هذه قادمة ، ولابد أن تستعد .. لابد أن تعد قلبك .. وأن تعد نفسك .. وأن تعد نساءك .. وأن تعد بناتك .. وأن تعد أولادك لمثل هذا اليوم .

وسل الله بصدق أن يبلغك الشهادة قال ﷺ : ((**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**))[1].

ماذا تريدون بعد ذلك ؟

لكن المصيبة التي تحطم القلوب أن المسلم لا يحمل حتى في قلبه هماً للدين ؟! فكيف يتحرك هذا بعد ذلك للجهاد ؟!

لابد أن تحترق القلوب ابتداءً ، لابد أن يرى الله منا أنه ما حبسنا عن رسول الله ﷺ إلا العذر . اللهم بلغ رسولنا عنا أنه ما حبسنا إلا العذر ليرى الله من قلوبنا أنه ما حبسنا عن رسول الله إلا العذر .

وأبشركم بهذه البشارة .. بشارة تسكب الأمل في القلوب الجريحة الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم أنه ﷺ قال : ((**إِنَّ**

---

(١) **صحيح** : مسلم رقم (١٩٠٩) في الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله ، وأبو داود رقم (١٥٢٠) في الصلاة ، والترمذي رقم (٣٦٥٣) في فضائل الجهاد ، والنسائي (٦/٣٦ ، ٣٧) في الجهاد .

بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا قَطَعْتُمْ وَادِياً وَلاَ سِرْتُمْ مَسِيراً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ شَارَكُوكُمْ الأَجْرِ » قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة . قال : « **وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ** »[1] اللهم بلغ عنا رسولك أنه ما حبسنا إلا العذر .

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد	سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر نكــابده	ومن أقام على عــذر كمن راح

الدعـــــــاء ...

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (٢٨٣٩) في الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، ومسلم رقم (١٩١١) في الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر .

حضارة العبيد !!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء : ١].

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتى في الله :

((**إنها حضارة العبيد**)) هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع في هذه الأزمة الحرجة التي تمر بها أمتنا من الأهمية بمكان وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : كلمات لها مغزى .

ثانياً : حضارة العبيد .

ثالثاً : حضارة الإسلام والإنسانية الواحدة .

رابعاً : حضارة الإسلام والأخلاق الفريدة الفذة .

خامساً : حضارة الإسلام والرفق بالحيوان .

وأخيراً : أمانة أطوق بها الأعناق .

أعرني قلبك وسمعك أيها الأخ المبارك فإن هذا الموضوع في هذا الظرف الحرج من الأهمية بمكان .

أولاً : كلمات لها مغزى : أستهل بها الحديث عن هذا الموضوع الخطير الهام وأقول لا حاضر لأمةٍ تجهل ماضيها ، ولا مستقبل لأمة تنسى فضائلها ، وإذا كان الوقوف أمام الماضي للبكاء والنحيب عليه ، هو شغل الفارغين العاطلين التافهين !! فإن ازدراء الماضي بكل ما فيه من خير ونور هو شأن الحاقدين والجاهلين !!

ومن السفه أن تنطلي علينا الآن خطط الأعداء الذين حاولوا بكل سبيل أن يحولوا بين أجيال الأمة المعاصرة وبين الماضي المشرق المجيد حتى لا تستمد الأجيال من الماضي المجيد المشرق نوراً يضيء لها طريق المستقبل وشعلة توقد شموس الحياة ، ودماء تتدفق في عروق المستقبل والأجيال .

إن كل أمة من أمم الأرض تعتز بماضيها ، ولو كان أسودَ مظلماً كظلام الليل ، وتعقد له الاحتفالات ، بل وتمنح أبناءها في الوظائف الرسمية العطلات والأجازات ، وإن أحق أمم الأرض بهذا الاعتزاز والافتخار بجدارة واقتدار بل وبشهادة العزيز الغفار هي أمة نبينا المختار ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ... ﴾ [آل عمران : ١١٠].

فَكِّرْ جيداً في هذه الكلمات لتعلم أنه من الخطر العظيم أن يحال بين ماضينا المشرق وبين مستقبلنا . أسأل الله أن يجعله مستقبلاً زاهراً للإسلام والمسلمين .

ثانياً : **حضارة العبيد** : نعم إنها حضارة العبيد ، إنها الحضارة الخاوية الروح التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي ، ليسوم البشرية كلها سوء العذاب ، فلقد شهدت البشرية اليوم في ظل حضارة العبيد هذه ما لا يمكن على الإطلاق أن تجسده كلمات قواميس اللغة !!

فإن البشرية الآن تشهد من صنوف الوحشية والبربرية – في ظل حضارة

الرجل الغربي الذي تقدم ليقود العالم كله في ظل تأخر أمة القيادة - ما تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها في عالم الغابات . ليست مبالغة ، ما عليك إلا أن تنظر الآن إلى الواقع المرير للبشرية المنكودة التي حادت عن منهج ربها ومنهج نبيها ﷺ .

نعم يا أيها المسلمون إننا نقر أنه لابد للحضارة من عنصرين ألا وهما : العنصر المادي ، والعنصر الأخلاقي .

ونحن لا ننكر ألبتة ما وصلت إليه الحضارة الغربية في عالم المادة ، فليس من الإنصاف ولا من التعقل أن ننكر ذلك بل إننا نثبت ذلك للحضارة الغربية في عالم المادة . نقر بأن الرجل الغربي قد انطلق بعيداً بعيداً في أجواء الفضاء ، وانطلق بعيداً بعيداً في أعماق البحار والمحيطات ، وفجَّر الذرة وصنَّع القنبلة النووية ، وصنع القنابل الجرثومية ، بل وحوَّل العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق هذا التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات .

لا ننكر ذلك أبداً ولا نتجاهل هذا ، ولكننا على يقين جازم - كذلك - أن الحياة ليست كلها مادة ، وإنما لابد وإن استطاع طائر جباراً أن يحلق في أجواء الفضاء بجناح واحد لا يستطيع أن يواصل طيرانه وتحليقه وإنما سيسقط حتماً لينكسر جناحة الآخر ، وإن طالت مدة طيرانه في هذا الفضاء الفسيح . فالحياة ليست كلها مادة ، بل لابد للجانب الأخلاقي من تواجد فعال في هذه الحضارة .

إن الحضارة المادية الآن التي وصلت إليها الحضارة الغربية ما استطاعت أن تمنح الإنسان – ابن هذه الحضارة – ما استطاعت أن ترتقي به إلى طهارة إنسانيته أو إلى وضاءة آدميته ، ما استطاعت أن توفر لابن هذه الحضارة راحة البال .. وانشراح الصدر .. وطمأنينة النفس .. كلا ، ما استطاعت أن تمنح الإنسان هذا كله ، بل يقف علماء النفس والطب الآن في حيرة ودهشة أمام هذه الحالات المتزايدة لعدد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ، وأمام هذه الحالات الهائلة للانتحار الجماعي في مثل هذه البلاد المتحضرة التي وصل فيها الإنسان إلى ما وصل إليه في جانب المادة كما تعلمون وكما ترون وكما تسمعون وصدق الله – عز وجل – إذ يقول : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾ [طه : ١٢٤- ١٢٧].

لقد عجزت الحضارة المادية أن ترتقي بإنسانها – ابن هذه الحضارة الخاوية الروح – عجزت أن ترتقي به إلى السعادة .. إلى انشراح الصدر .. إلى راحة الضمير .. إلى طمأنينة النفس وراحة البال .. عجزت لأن الروح لا توزن بالجرام ، ولا تقاس بالترمومتر ، ولا تخضع للتجارب المعملية في أحد المعامل إنما هذه الروح يعجز أي إنسان على هذه الأرض أن يقدم لها المنهج الذي

يرتقي بها ، وأن يقدم لها المنهج الذي يغذيها ، إذ لا يستطيع أن يقدم لهذه الروح منهج صلاحها و فلاحها في الدنيا والآخرة إلا خالق هذه الروح قال جل وعلا : ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤].

نعم أيها الأحبة الكرام : الحضارة الغربية فقدت العنصر الأخلاقي ، ومن المعلوم أن سنة الله في تطور الحياة أن الحضارة اللاحقة لابد أن تتفوق على الحضارة السابقة في الجانب المادي حتماً ، هذه سنة من سنن الله في تطور هذه الحياة ، فمن العبث أن نطالب الحضارة السابقة بما وصلت إليه الحضارة اللاحقة في جانب التطور المادي .

واضرب لكم مثالاً ليتضح ما أقول انظر الآن إلى الكتابة في الماضي السحيق ثم انظر الآن إلى الكتابة بعد هذا التطور المذهل في آلات الكتابة الحديثة التي تطبع الآن عشرات الآلاف من الكلمات في الدقيقة الواحدة ، فما وصل إليه الغربي الآن إنما هو محصلة لأدمغة وعقول عشرات الأجيال ، لكن محال أن ترتقي حضارة على ظهر الأرض أو أن تدوم بالعنصر المادي فقط أبداً أبداً ، بل إن الحضارة لا تسود ولا تبقى إلا بالعنصر الأخلاقي ليحدث التوازن بين هذا العنصر المادي وبين هذا العنصر الأخلاقي .

هنا .. ارجع البصر مرة ومرة .. وكرة بعد كرة إلى العنصر الأخلاقي في ظل قيادة الرجل الغربي لتعلم أنها حضارة قد تجردت من الأخلاق ، لتعلم أنها حضارة العبيد يسعد فيها ابن الحضارة الكافرة بأن يجلس لا على كرسي بل

على عظام أخيه الإنسان !!! ليسعد فيها ابن هذه الحضارة لا بشرب كأس من الماء البارد وإنما بشرب برك دماء لإخوانه هنا وهناك !! انظر لتتعرف على حقيقة هذه الحضارة ، التي تجردت من كل خُلق ومن كل فضيلة .

انظر الآن وارجع البصر إلى ما يجرى الآن على أرض البوسنة ، وارجع البصر كرة أخرى على ما يجرى الآن على أرض الشيشان !! وارجع البصر كرة ثالثة إلى ما يجرى الآن على أرض فلسطين !! وارجع البصر كرة رابعة إلى ما يجرى الآن على أرض العراق !! وارجع البصر كرة خامسة إلى ما يجرى الآن على أرض كشمير !! وارجع البصر كرة سادسة وسابعة وعاشرة وألف إلى ما يجرى الآن في كل مكان وُحِّدَ فيه الملك جل جلاله !! لتعرف إلى أي درك دني وصلت حضارة الغرب في جانب الأخلاق !! وإن خرج إلينا ابن هذه الحضارة بهذه الشعارات الرنانة الجوفاء كحقوق الإنسان والديمقراطية المشؤومة ، وحرية المعتقدات ، والنظام العالمي ، والسلام العالمي ، إلى آخر هذه الدعاوي الكاذبة التي لم تعد تنطلي الآن إلا على السذج والرعاع هذه الأفعال البشعة التي تبين بجلاء - لكل ذي لب - حضارة الغرب في هذه الأيام رغماً عن أنف الدجل الإعلامي والعهر السياسي الذي يتغنى به قادة الغرب في قاعات المؤتمرات وفي المجالس والهيئات والمنظمات .

يتغنى قادة العالم الغربي بهذه الشعارات والواقع يكذِّب الدجل الإعلامي ويكذب هذا العهر السياسي .

ولأبين لحضراتكم قيمة هذه الحضارة التي يتغنى بها أولئك وهؤلاء في كل مناسبة وبدون مناسبة ففي أربع سنوات فقط قُتِلَ على أرض البوسنة بمنتهى الوحشية البربرية ما يزيد على نصف مليون في ظل حضارة الرجل الغربي !! اغتصاب جماعي منظم للنساء على أرض البوسنة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة الغربية التي يتغنى بها في الليل والنهار !! صرخت المسلمة . صرخت باسم الإنسانية . صرخت في الضمير العالمي كله وقالت :

أنا أيها الناس مسلمة طوى ... أحلامها الأوباش والفساق
أخذوا صغيري وهو يرفع ... صوته أمي وفي نظراته إشفاق
ولدي وتبلغني بقية صرخة ... مخنوقة ويقهقه الأفاق
ويجرني وغدٌ إلى سردابه ... قهراً وتظلم حولي الأفاق
ويئن في صدري العفاف ويشتكي ... طهري وتغمض جفنها الأخلاق
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم ... دمي هنا يا مسلمون يراق
عرضي يدنس أين شيمتكم ؟ ... أما فيكم أبيٌّ قلبه خفاق
أختاه أمتنا التي تدعونها ... صارت على درب الخضوع تساق
أودت بها قومية مشئومة ... وسري بها نحو الضياع رفاق
إن كنت تنتظرينها فسينتهي ... نفق وتأتي بعده أنفاق
فمدي إلى الرحمن كف تضرع ... فلسوف يرفع شأنك الخلاق
لا تيأسي فأمام قدرة ربنا ... تتضائل الأنساب والأعراق

هذا ما يُفعل بالمرأة في ظل الحضارة الغربية !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل النظام العالمي الجديد !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل السلام العالمي !! هذا ما يفعل بالمرأة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة التي يتغنى بحضارته الخاوية الكافرة في الليل والنهار !! حتى الأطفال شهدوا - في ظل حضارة الغربيين - ما لا يمكن لمخلوق على ظهر الأرض أن يجسده حتى الأطفال لم يسلموا - في ظل حضارة العبيد التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي - حتى الطفل يستخدم الآن على أرض البوسنة كدرع بشري !! بمعنى أن يفخخ الأطفال بالألغام يعلنوا في مكبرات الصوت أنهم قد أفرجوا عن مجموعة كبيرة من الأطفال ، فإذا ما وصل الأطفال إلى قواعد البوسنة المسلمة وخرج القادة وخرج الأهل لاستقبال أطفالهم وأبنائهم ، يقوم الصرب عن طريق أجهزة التحكم عن بُعد التي تعرف بالريموت كنترول فيفجر الصرب الألغام في هؤلاء الأطفال المساكين فيقتل الأطفال ويقتل كل من خرج لاستقبالهم !!! في ظل حضارة الغربي الفاجر ، حتى الطفل لم يَسْلَم !! المرأة لم تسلم !! الشيخ الكبير لم يسلم !! الرضيع الصغير لم يسلم !! بل كانوا يأتون بالأم وينْزعوا ولدها الرضيع من صدرها !! بل لقد نشرت وكالات الأنباء بالصور أنهم كانوا يبقرون البطون ويخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم !! ينتزع الطفل من صدر أمه وتقيد الأم بالأغلال ويوضع الطفل على النار ليشوى ، والأم تنظر ، فإذا ما انتهى هؤلاء الفجرة من شَيِّه أُجبرت الأم - تحت تهديد

الرصاص – أن تأكل من لحم طفلها المشوى ، في ظل الحضارة الغربية يفعل هذا بالأطفال قتلوا أربعين ألف طفل ، وشردوا مائة ألف طفل في مخيمات اللاجئين في زغرب في مقدونيا في ألبانيا في الملاجيء الكنسية في أوربا كلها ، حتى الأطفال لم يسلموا في ظل حضارة الغربي أطفالنا . فكر الآن في طفلك ، فكر الآن في ولدك لتشعر بما أقول .

أطفالنا نامـــوا على أحلامهم   وعلى لهيب القاذفات أفـــاقوا

أطفالنا بيعـــوا وأوربا الـــتي   تشري ففيها راجت الأسواق

أطفالنا بيعوا ، يباع الطفل المسلم الآن في أوربا بمائة دولار فقط !! تشهد أوربا الآن أبشع تجارة رقيق في التاريخ كله للأطفـــال ، بل يستخدم الطفل الآن كفأر تجارب في معامل أمريكا وفي إنجلترا وهولندا ، في هذه الدول التي تتغنى بالحضارة المكذوبة الكافرة الفاجرة !!!

أين النظـــام العالمي ؟ أمـــا له أثر ؟ ألم تنعـــق به الأبـــواق ؟

أين السلام العالمي ؟!! لقد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق

يا مجلس الأمن الذي في ظله كسر الأمان وضيـــع الميثـــاق

أو ما يحركك الذي يجرى لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفـــاق

يعفى عن الصرب الذين طغوا وأجبروا ويفرد بالعقاب عراق

وحشية يقف الخـــيال أمامها متضـــائلاً وتمجهـــا الأذواق

إنها ورب الكعبة حضارة العبيد إنها .. حضارة العبيد بكل المقاييس . أين

هذه الحضارة التي يفعل الإنسان في ظلها بأخيه الإنسان ما تستحي الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها البعض في عالم الغابات ؟!!

هل نسيتم ما فعله ابن هذه الحضارة بقنبلته النووية في هيروشيما ونجازاكي ؟

هل نسيتم ما فعله ابن هذه الحضارة في أمريكا بالسود الزنوج ؟! وليست أحداث لوس أنجلوس من أحد ببعيد .

هل نسيتم ما يفعله ابن هذه الحضارة في كل مكان بأخيه الإنسان ؟!

من أجل ماذا ؟ من أجل التطهير العرقي !!

من أجل ماذا ؟! من أجل اللون !! من أجل العقيدة !! من أجل الدين !! هذا ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان في ظل قيادة الرجل الغربي !!

إنها حضارة العبيد ، ولا أريد أن أتوقف طويلاً مع هذا العنصر فإن الجراح دامية ، ولكن تعال معي لنبين لهؤلاء الذين يخشون الإسلام ، ويخافون الإسلام ، بل ويستحي أحدهم أن يعلن بأنه مسلم !! أو أن يذكر في مؤتمر من المؤتمرات لفظة إسلام !! أو آية قرآن أو حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام .

وكأن الإسلام الآن ما هو إلا دين التطرف والإرهاب هنا وهناك !! إن حدثت مصيبة في أي موضع أعجب إذا مرت تلك المصيبة دون أن تنسب إلى الإسلام والمسلمين !! كنت أتوقع يوم أن حدثت أحداث لوس أنجلوس في أمريكا أن يقولوا بأن الذي فجر هذه الأحداث الإرهابيون والمتطرفون !!

كنت أتوقع يوم أن وقع الزلزال في مصر أن يقولوا بأن الذي أحـــدث

الزلزال هم الإسلاميون الإرهابيون !!

كنت أتوقع إذا حدثت أي مصيبة - ولا زلت - أن تلصق هذه المصيبة والتهمة بالإسلام بالإرهابيين بالمتطرفين !!

وإذا أردت أن تتحقق من صدق ذلك فما عليك إلا أن تجلس أمام مسلسل من المسلسلات التي يعزف على وترها إعلامنا الوقور .. الحيي .. الذي يحارب التطرف والإرهاب من أجل ذلك فهو يسخر لا بالتطرف والمتطرفين ولا بالإرهاب والإرهابيين وإنما بسنة سيد النبيين ﷺ !! وأنتم جميعاً تشاهدون وتسمعون وتقرءون !! إنه الواقع المر الأليم !!

انظروا يا من تخشون الإسلام ، والله لو علمتم عظمة الإسلام ، والله لو علمتم حقيقة الإسلام ، والله لو علمتم عدالة الإسلام لمنحتم الدعاة الصادقين الجوائز والمكافآت لينطلقوا ليعلموا الناس جميعاً في الشرق والغرب - بعد بلاد المسلمين - حقيقة هذا الدين .

ثالثاً : حضارة الإسلام والإنسانية الواحدة .

إنها حضارة الإسلام أيها المسلمون .. الإسلام الذي جاء ليجعل الناس جميعاً سواسية بين يدي الله عز وجل ، لا عصبية لراية ، لا عصبية للون ، لا عصبية لجنس ، لا عصبية لوطن . جاء الإسلام ليجعل الناس جميعاً بين يدي الله - عز وجل - سواء .

فمنذ اللحظات الأول رفع الإسلام هذا الشعار للإنسانية الواحـــدة بقوله

جل وعلا : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...** ﴾ [الحجرات : ١٣].

الله أكبر !! منذ اللحظات الأولى ، يؤصل الإسلام هذا الأصل العظيم .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : ((**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**))[(١)].

بل وفي الحديث الذي رواه أحمد بسند صحيح والبيهقي في سننه من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : ((**أَيُّهَا النَّاس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِد ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِد ، أَلاَ إِنَّ أَبَاكُم وَاحِد ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِي عَلَى أَعْجَمِيّ ، وَلاَ لعجمي عَلَى عَرَبِيّ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، وَلاَ لأَحْمَر عَلَى أَسْوَد إِلاَّ بالتَّقْوَى**)) ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾. هذا هو الإسلام الذي يؤصل الإنسانية الواحدة ، لا فرق بين لون ولون .. وجنس وجنس .. وأرض وأرض .. إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ .

وفي يوم فتح مكة وقف المصطفى ﷺ ليؤصل هذا الأصل كما في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال : حديث حسن ورواه الترمذي كذلك من حديث عبد الله بن عمر وقال حديث حسن

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٦٤) في البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، وأحمد في المسند (٢/٢٨٥ ، ٥٣٩) .

غريب ، وهذا لفظ حـــديث أبي هريرة أنه ﷺ وقف يوم فتح مكة وقال : ((**أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها ألا إن أباكم واحد وإن آدم من تراب**)) ثم قال ﷺ : ((**فالناس رجلان . رجل بر تقي كريم على الله ، ورجل فاجر شقي هين على الله**)) وتلى النبي ﷺ قول الله – عز وجل – : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣].

جاء الإسلام أيها المسلمون ليسوي بين بلال الحبشي ، وأبي ذر الغفاري ومعاذ الأنصاري ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وحمزة القرشي ، بل لما افتخر هؤلاء بأنسابهم قال سلمان :

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

فلما سمعها عمر بكى ﷺ وقام لينشد بيت سلمان وهو يقول :

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

فلقد رفع الإسلام سلمان فارس ووضع الكفر الشريف أبا لهب .

والسؤال الآن – وأعرني قلبك وسمعك لهذا السؤال – هل ظلت هذه المبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام ؟ هل ظلت حبراً على ورق في أدراج حبيسة كميثاق حقوق الإنسان في هيئة الأمم ؟ هل ظلت حبيسة في البلد الذي نادى أول مرة بهذه المبادئ في المدينة المنورة كما حبست فرنسا مبادئ

الثورة الحرة – كما زعمت – عن مستعمراها وبلداها ورعاياها أو هل ظلت هذه المبادئ وقامت هذه الحضارة الإسلامية لتجسد هذه المبادئ بتماثيل وأصنام كاذبة فارغة ؟! كما فعلت أمريكا بتنصيب تمثال للحرية في وسط ميدان فسيح في نيويورك يصدم الداخل للمدينة أول مرة ثم خرجت أمريكا نفسها خارج أرضها لتلعن الحرية ولتسحق الأحرار الشرفاء الأطهار الأبرار !! هل فعلت حضارة الإسلام هذا ؟ لا والله .. اقرءوا التاريخ ، وشهادة التاريخ أصدق شهادة ، ماذا فعل الإسلام ليحول هذه المبادئ إلى منهج حياة وإلى واقع يسمع ويرى في دنيا الناس ؟!!

ولنستهل الأدلة العملية برائد حضارتنا وأسوتنا وقدوتنا المتجددة على مر الأجيال والقرون ، فمحمد ﷺ الذي حول هذه المبادئ والمواثيق الشريفة – التي نادى بها – على أرض الواقع إلى منهج حياة ، يشرق ، ويتألق روعة وسمواً وجلالاً .

ففي الصحيحين : أن امرأة شريفة من الأشراف من بني مخزوم سرقت ، فغضبت قريش وحزنت أن الرسول ﷺ سوف يقيم عليها الحد ويقطع يدها ، فقالوا : لا ، لابد أن يشفع أحد عند رسول الله ﷺ حتى لا تقطع يدها فقالوا : من يُكلِّمُ فيها رسُولَ الله ﷺ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيه إلاَّ أُسامَةُ ، حبُّ رسُول الله ﷺ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فقال رسول الله ﷺ : ((**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍ مِنْ حُدُودِ الله يَا أُسَامة ؟**)) وارتقى النبي ﷺ المنبر وهو غاضب وقال : ((**أَيُّهَا**

النَّاس ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وَأَيْم اللهِ ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »[١] إنه التطبيق العملي للمساواة ، للمساواة الإنسانية الواحدة .

وهذا أبو ذر الغفاري ، رجل من غفار أبيض اللون ، وهذا بلال حبشي رجل من الحبشة أسمر اللون وكلاهما من أصحاب رسول الله ﷺ الأخيار فدار بينهما خلاف واحتد الخلاف فنظر أبو ذر لبلال وقال له : يا ابن السوداء ، فغضب بلال وأخذها وانطلق إلى سيد الرجال ﷺ فأخبره بما قال أبو ذر ، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً والتفت إلى أبي ذر ﷺ وقال : « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** »[٢] ، فندم أبو ذر وبكى .

وانظر إلى هذا الأفق الوضيء وإلى هذه القمة السامقة التي جسدت هذا الندم حينما وضع أبو ذر خده على الأرض واستحلف بلالاً ﷺ أن يطأ بنعله على خده الآخر ، إنه الإسلام .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٤٧٥) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم رقم (١٦٨٨) في الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف .

(٢) **متفق عليه** : البخاري (٣٠) في الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ومسلم (١٦٦١) في الإيمان ، باب إطعام المملوك .

واسمحوا لي بأن أُذَكِّر أيضاً بهذا المشهد الواحد وتمنيت أن لو سمعه كل زعماء الغرب ، إنه عمر ، وما أدراكم ما عمر ؟! عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي رأى قافلة تدنوا من المدينة في الليل ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : يا عبد الرحمن هل لك في أجر الليلة ؟ قال ماذا تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال:تعال بنا لنحرس هذه القافلة تلك الليلة !!

فليسمع العالم كله ، ولتسمع الحضارة الغربية الكاذبة ، عن هذه النّزعة الإنسانية الفريدة ، ويقوم عمر وعبد الرحمن بن عوف يصليان ويحرسان ، وفجأة سمع عمر بكاء صبي في القافلة ، فدنا عمر من صوت بكاء الصبي ، ثم نادى على أم الصبي وقال : اتق الله وأحسني إلى صبيك .

طفل يبكي يحرك قلب الحاكم ، طفل يبكي مع أمه ! مع أقرب الناس إليه ! فيتحرك له قلب الحاكم ! قلب أمير المؤمنين ! قلب حاكم الدولة يتحرك لبكاء طفل بين أحضان أمه ، لا أقول بين أحضان القنابل والطائرات والدبابات والرشاشات بين أحضان أمه ! فيقترب عمر ويقول : اتق الله وأحسني إلى صبيك ، ثم ينصرف لصلاته ، وبعد فترة يسمع بكاء الصبي فيرجع إلى المرأة ويقول : اتق الله وأحسني إلى صبيك ، فإني أراك أم سوء فقالت : يا عبد الله لقد أبرمتني منذ الليلة ((تعني : لقد أزعجتني – وهي لا تعرف من تخاطب ثم – قالت :)) إني أُكره ولدي على الفطام كرهاً ، فقال عمر: لم تستعجليه ؟ فقالت : لأن عمر بن الخطاب لا يبرم عطاءً إلا للفطيم ، فبكى عمر وانخلع

قلبه لهذه الكلمة ، وعاد يجر ثوبه يبكي ، يقول عبد الرحمن بن عوف : ما عرف الناس قراءته في صلاة الفجر من شدة بكائه ، الله أكبر !! ، وبعدما سَلَّم وانتهى من صلاته قبض على لحيته وبكى وقال : ويل لعمر .. يا بؤساً لعمر .. كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين ؟!! فلتسمع الدنيا ، فليسمع قادة الغرب ، وليسمع قادة المسلمين ، كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين ؟.. الله أكبر ، ثم يأمر عمر بن الخطاب المنادي أن يمشي بين الناس ويقول : لا تستعجلوا صبيانكم في الفطام فإنا نبرم العطاء لكل من ولد في الإسلام منذ أول يوم إنها عظمة الإسلام .. إنها الإنسانية الفذة يا عباد الله .. إنها صورة سامقة .. مهما أوتيت من البلاغة والفصاحة فلم استطع ولن أستطيع أن أجسد لحضراتكم هذه النّزعة الإنسانية التي جاء بها الإسلام ، والتي أَصَّل قواعدها وأسس بنيانها محمد عليه الصلاة والسلام ، واكتفي بهذا القدر لأُعَرِّجَ على بقية العناصر في عجالة سريعة بعد جلسة الاستراحة ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فيا أيها الأحبة : رابعاً : الحضارة الإسلامية والنّزعة الأخلاقية .

ستعجب إذا قلت لك أيها الحبيب : بأن الإسلام كان فريداً في أخلاقه حتى عَلَى أرض المعارك وفي ميادين الحروب ، مع أن رؤية الدم تثير الدم ، ومع أن القتال يثير الحمية في النفوس والانتقام ، وبالرغم من ذلك كله أقول : إن الإسلام كان فريداً في أخلاقه حتى في ميادين القتال والحروب ، الله أكبر ! يغضب النبي ﷺ حينما يرى امرأة قد قتلت في الميدان ، ويأمر الصحابة ألا يفعلوا ذلك ، ويأمر الصديق جيش أسامة ويقول : لا تقتلوا شيخاً ، ولا امرأة ، ولا رجلاً تفرغ للعبادة في صومعته ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا بقرة إلا للأكل ، هذه مُثُلُ الإسلام حتى في عالم الحروب والمعارك ، بل ولا يعلم التاريخ أحداً فُعِلَ به من الأذى والاضطهاد مثل ما فُعِلَ بنبينا ﷺ : أوذي في مكة ، ووضع التراب على رأسه ، ووضعت النجاسة على ظهره ، خنق حتى كادت أنفاسه أن تخرج ، وطرد من بلده ، وحرم من بيته وماله ، وأوذي أصحابه أشد الإيذاء وبالرغم من ذلك لما ترك وطنه وبلده وهاجر إلى المدينة ما تركه المشركون حتى في المدينة بل جردوا عليه السيوف ، ولما عاد النبي ﷺ منتصراً في يوم فتح مكة وقف أهل مكة جميعاً بين يديه قال لهم صاحب الخلق : ((**مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟**)) قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : ((**أَقُــولُ لَكُمْ مَا قَالَهُ أَخِي يُوسُف لأخْوَتِهِ : لاَ تَثْرِيبَ**

عَلَيْكُمُ اليَوْم ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاء))[١] وللأمانة العلمية أقول : إن هذا الحديث سنده ضعيف ، سبحان الله ! حتى في هذه الأوقات الحرجة انظروا إلى أخلاق النبي ﷺ ، عاد من الطائف بعد أن رُمِيَ بالحجارة وطُرِدَ وَفَعَلَ به أهل الطائف أبشع ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان ، وقيل له : ادعُ على المشركين يا رسول الله : فماذا قال صاحب الخلق حتى في هذه الأوقات التي قد يميل القلب فيها إلى التشفي والانتقام إذ أن الإنسان يشعر بالظلم ، وبالرغم من ذلك يقول : ((**إِنِّي لَمْ أُبْعَث لَعَّاناً وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون**))[٢].

وطبق صحابته الكرام ﷺ هذه المبادئ أعظم تطبيق شهدته الأرض وعرفه التاريخ ، الله أكبر ! انظروا ماذا فعل المسلمون يوم أن امتدت الفتوح الإسلامية إلى بلاد سمرقند في عهد عمر بن عبد العزيز ، وأرسل حاكم سمرقند رسالة إلى قاضي القضاة يخبره بأن الفتح الإسلامي لسمرقند فتح باطل ؛ لأنهم دخلوا عليهم عنوة ، ولم يفرضوا عليهم جزية ، ولم ينذروهم بالقتال ، وأرسل قاض القضاة إلى عمر بن عبد العزيز ليخبره بذلك ، فما كان من عمر ﷺ إلا أن أمر قائد الجيوش في سمرقند بالانسحاب فوراً ، ولما علم أهل سمرقند أن الجيش قد انسحب بأمر أمير المؤمنين عمر خرج أهل سمرقند عن

(١) رواه البيهقي في السنن (٩/١١٨) .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٩٩) في البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب .

بكرة أبيهم بين يدي الجيش الفاتح المنتصر ليعلنوا جميعاً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إن تاريخ الحروب الإسلامية تاريخ مشرق فليقرأ التاريخ وليقف الناس جميعاً أمام عبر هذا التاريخ ، وأنتم تعلمون ما فعله صلاح الدين بالصليبيين ، أتعلمون أنه قَدَّم طبيبه الخاص في أرض المعركة ليعالج قائد الحملة الصليبية حين وصل إلى علمه أنه مريض ولا يوجد من يبذل له الدواء والعلاج ؟!! أي أخلاق هذه أخوة الإسلام ؟!!

ولما صرخت امرأة نصرانية ورمت بنفسها على خيمة صلاح الدين في الليل وسألها ما الخبر ؟ فأخبرته أن أحد أفراد الجيش الإسلامي قد أخذ ولدها ، فأمر صلاح الدين أن يرد الجيش بأي سبيل هذا الطفل ، ولم يهدأ حتى اطمأن بنفسه أن المرأة قد رُدَّ إليها طفلها .

وتعلمون ما فعله محمد الفاتح بالنصارى الصليبيين في كنيسة آل صوفيا حينما فتح القسطنطينية ، فعل ما سيقف أمامه التاريخ وقفة إعزاز وإجلال وإكبار ، فاقرءوا التاريخ فإن الوقت لا يتسع لما فعله هؤلاء الأطهار الأبرار حتى في المعارك والحروب والميادين ، فالإسلام ضرب أروع الأمثال حتى في أرض المعارك التي تثير فيها رؤية الدم الدماء ، وينتشي القادة الفاتحون بسكرة النصر للتشفي والانتقام ، ولكنه لم يحدث في ظل حضارة الإسلام التي أسس أصولها وأسس بنيانها محمد ﷺ .

وأخيراً أيها الأحبة أقول : حضارة الإسلام والرفق بالحيوان :

إن الإسلام هو الذي أصَّل أصول الرفق بالحيوان .. قبل أن تتغنى أوربا وأمريكا بجمعية الرفق بالحيوان ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ((**دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**))[1] .

هذا هو الإسلام قبل أن تتغنى أمريكا وأوربا بالرفق بالحيوان ، بل وفي الصحيح ((**أَنَّ بَغياً** – امرأة زانية – **مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائيل مَرّتْ عَلَى كَلْبٍ يَلَهَثُ الثَّرَى مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** – خُفَّهَا – **وَمَلأَتْهُ مَاءً مِنَ البِئْرِ فَسَقَتْهُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهَا بِهِ**))[2] .

وأنا أقول أيها الأحبة : إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا ، فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا ؟!!

من أجل كلب غفر الله لبغي من بغايا بني إسرائيل .. هذا هو الإسلام .

---

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (٣٣١٨) في بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٢٤٢) في السلام ، باب تحريم قتل الهرة .

(٢) **متفق عليه** : البخاري رقم (٣٤٦٧) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم رقم (٢٢٤٥) في السلام ، باب فضل سقي البهائم .

وأخيراً أيها الأحبة : ((أمانة أطوق بها الأعناق)) .

حتى لا أطيل عليكم ، أمانة أطوق بها أعناق حكامنا ، وأطوق بها أعناق علمائنا ، وأطوق بها أعناق المسلمين والمسلمات في كل مكان ، أن يُظْهر حكامنا هذا الإسلام وحقيقته بعدم محاربته .. بعدم الصد عن سبيل الله ، وأن يعلنوا للعالم كله – إذ أن اللعبة في أيديهم في المقام الأول – أن يبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام ، وأنا أتألم أشد الألم حينما أرى حكام المسلمين في كل مؤتمر من المؤتمرات ، بمناسبة ، وبدون مناسبة ، لا يتكلمون إلا عن التطرف والإرهاب ، إذاً ستوصمون أنتم بذلك ، فدعوكم من هذه النغمة الممجوجة ، وبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام وعظمة الإسلام ، وعدالة الإسلام ، ورحمة الإسلام ، وإن وقع من بعض المسلمين بعض الأخطاء فلا ينبغي أبداً أن نركز المجاهر المكبرة على هذه الأخطاء لنعلق على هذه الشماعة الظلم السياسي والظلم الاجتماعي والاستبداد الأخلاقي ، والفساد الطبقي .

تلك إذاً قسمة ضيزى ، سبحان الله ! هذه الأفعال تمارس في كل ساعة على خشبة المسرح العالمي ، فأين أنتم من التطرف اليهودي في فلسطين ؟!! أين أنتم من التطرف الصربي في البوسنة ؟!! أين أنتم من التطرف الوثني الشيوعي في الشيشان ؟!! أين أنتم من التطرف البقري الوثني في كشمير ؟!! أين أنتم من التطرف في طاجكستان ، في الصومال، في كل مكان ؟!! لا ينبغي أن تركز المجاهر المكبرة على بعض الأخطاء التي قد يقع فيها بعض

الشباب ، وإنما ينبغي أن نفتح صدورنا لهذا الشباب ، وأن يفسح المجال للعلماء المخلصين والدعاة الصادقين ليبينوا الحق لهؤلاء الشباب وليأخذوا بأيديهم إلى ما جاء به الإسلام من عظمة ، وخلق ، وعدل ، ورحمة .

وأمانة أطوق بها أعناق العلماء ، يا علماء الأمة : أنتم مشاعل الهداية ، إننا في وقت لا وقت فيه ولا مجال فيه للنفاق ولا للتملق ولا للمداهنة ، ولو دامت الكراسي لأحد ما وصلت إليكم ، إن الكراسي زائلة ، وإن المناصب فانية ، وإن أعظم خدمة الآن تقدمونها لدين الله أن تصدقوا الحكام النصيحة ، أن تبذلوا النصيحة الصادقة بأدب ، نعم بأدب ، نحن لا نخرج عن قواعد الأدب ، بأدب وبإجلال وبتواضع واحترام .

فلا ينبغي أن تجترنا عنتريتنا على المنابر هنا أو هناك لنسفه هذا أو ذاك أبداً ، إنما أقول : نبذل النصيحة لهؤلاء الحكام بأدب و إخلاص وبصدق ، فإن الوقت لا مجال فيه ألبته للتملق ولا للمداراة ولا للمداهنة .

وأنتم أيها المسلمون اشهدوا لهذا الإسلام بسلوككم وبأخلاقكم وبأعمالكم .. كفانا خطباً .. إن الإسلام لن نعيده للأرض بالخطب الرنانة ، ولا بالمواعظ المؤثرة ، إنما أنت أيها المسلم ، وأنتِ أيتها المسلمة ، تحركوا لهذا الدين ، إنني أكرر وأنادي ، وأصرخ .. حولوا الإسلام أنتم إلى واقع ، انقلوا الإسلام من المساجد إلى كل أمور الحياة ليرى العالم كله كيف أن المسلمين قد ارتقوا بإسلامهم إذ أن العالم يحكم الآن على الإسلام من خلال واقعكم

أنتم أيها المسلمون ، فليشهد الطبيب لإسلامه ، وليشهد المهندس لإسلامه ، وليشهد العالِم لإسلامه ، وليشهد الموظف لإسلامه ، وليشهد المدرس لإسلامه ، ولتشهد المرأة لإسلامها ، كل بعمله ، بأخلاقه ، بسلوكه ، أن نحول الإسلام في حياتنا كلها إلى منهج حياة وإلى واقع يتحرك في دنيا الناس .

الدعـــــاء ...



أسير في قيد .. دروس وعبر !!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله :

((**أسير في قيد .. دروس وعبر**)) هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا حتى لا ينسحب الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : الرفق والإحسان إلى الناس يُحوِلانِ البغض إلى حب .

ثانياً : سيرة حافلة بالدروس والعبر .

ثالثاً : عودة واجبة .

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا ممن ﴿ **يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : الرفق والإحسان إلى الناس يحولان البغض إلى حب .

أحبتي في الله ..

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبل نجد (أي أرسل النبي سرية عسكرية استطلاعية ناحية نجد ، وكانت هذه السرية بقيادة محمد بن سلمة فجاءت هذه السرية برجل من بني حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطت هذا الرجل في سارية من سواري المسجد (أي عمود من أعمدة المسجد) وهم لا يعرفونه ، فثمامة قبل من أقبال العرب (أي : سيد من أسياد

العرب وشريف من أشرافهم) أسروه وهو في طريقه إلى العمرة ولكن كان على الشرك بالله جل وعلا ، وأدخلوه إلى المسجد ، وربطوه في عمود من أعمدة المسجد النبوي فلما دخل النبي ﷺ رآه فعرفه وفي رواية ابن هشام قال النبي ﷺ لأصحابه : ((**أَلاَ تَعرِفُونَ مَنْ هَذَا ؟!!، إِنَّهَ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ اليَمَامَةِ**)) وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يحسنوا إليه .

ونعد إلى رواية الصحيحين خرج النبي ﷺ إليه فقال : ((**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**)) فقال : عندي يا محمد خيرٌ إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه النبي ﷺ حتى كان الغد . ثم خرج النبي ﷺ فقال : ((**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**)) قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد فقال : ((**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**)) ، فقال : عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فقال النبي ﷺ : ((**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**)) ، فأطلقه أصحاب النبي ﷺ ، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد النبوي ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وقال : يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوه كُلها إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك ، فأصبح دينك

أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا تأمرني ؟ فبشره النبي ﷺ - قال الحافظ ابن حجر : بشره بخيري الدنيا والآخرة أو بشره بالجنة أو بشره بتكفير سيئاته لأن الإسلام يهدم ما قبله - .

بشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ (أي هل تركت دين آبائك وأجدادك وتبعت محمد على دينه ؟) قال : لا ولكني أسلمتُ مع رسول الله ﷺ والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ (أي حبة قمح) حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ [1].

وفي رواية ابن هشام:أن ثمامة لما وصل بطن مكة رفع صوته بالتلبية فكان أول من لبى وجهر بالتلبية في مكة فلما رأى المشركون رجلاً يتحداهم بهذه الصورة العلنية الجريئة قالوا :٠من هذا الذي يجتري علينا ويرفع صوته بالتلبية في بلادنا وديارنا ويردد الكلمات التي يُعَلِمُهَا محمدٌ لأصحابه ؟! فانقضوا عليه وأرادوا أن يضربوا رأسه ، فقال أحدهم : ألا تعرفون من هذا إنه ثمامة ابن أثال سيد أهل اليمامة وأنتم تحتاجون إلى اليمامة في طعامكم فخلوا سبيل الرجل ، فالتفت إليهم وقال : والله لا يأتينكم حبة حنطة من اليمامة إلا بإذن رسول الله ﷺ .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٣٧٢) في المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، ومسلم رقم (١٧٦٤) في الجهاد والسير ، باب جواز الإغارة على الكفار .

أيها الأحبة الكرام ..

إنه مشهد بالغ الروعة اعترف بداية أنني أعجز عن أن أصور لحضراتكم روعته وعظمته وجلاله ، فرسول الله ﷺ هو الرحمة المهداه والنعمة المسداه ، لا للموحدين فحسب بل للعالمين قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : رسول الله رحمة للبار والفاجر فمن آمن به تمت له النعمة ، وتمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر أمن من عذاب الدنيا حتى يلقى الله في الآخرة مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾ [الأنفال : ٣٣].

وفي الصحيحين – وتدبر هذا الحديث – عن عائشة قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال المصطفى : ((**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيل بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ**)) وهو شريف من أشراف أهل الطائف ولكنه رفض دعوة النبي ﷺ وسلط الصبيان والسفهاء على الحبيب ورموه بالحجارة حتى سالت الدماء من جسده الطاهر يقول : ((**فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**)) مكان يبعد عن الطائف بما لا يقل عن خمسة كيلو مترات ، ولم يستفق النبي ﷺ من همه وألمه إلا في هذا الموطن ودماؤه تنزف يقول : ((**فَرَفَعْتُ رَأْسِي** ،

فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فقال : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَقَـدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلِيكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْـرِكَ . فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ)) فقال له النبي ﷺ : ((**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**))[1] وفي رواية لما قيل ادع الله على المشركين قال المصطفى : ((**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**)).

أيها المسلمون : تدبروا كيف حَوَّل الرفق والإحسان من رسول الله ﷺ البُغض المتأصل في قلب ثمامة إلى حب جياش فياض !! . ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة خرج إلى مكة ليعتمر ليقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك . تملكه وما ملك ، فأبى الله جل وعلا إلا أن يلبي تلبية الموحـــدين ، فسبحان من بيده القلوب يحـــولها كيف يشاء قال تعـــالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ [الأنفال : ٢٤].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٢٣١) في بدء الخلق ، باب إذا قال أحـــدكم آمين ، ومسلم (١٧٩٥) في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين .

ثمامة أُسر ورُبط في المسجد وهنا ترجم عليه البخاري باباً يُجوّز فيه أن يدخل المشرك إلى المسجد ، وأبى النبي إلا أن يظل ثمامة في المسجد النبوي لِحِكَمٍ غالية عديدة .. ليرى ثمامة بعينيه وليسمع بأذنيه عظمة هذا الدين .. ليرى النبي بنفسه .. وليسمع كلام النبي .. وليرى أخلاق النبي ﷺ .

أيها المسلمون : لابد أن نعي هذا الدرس العنف يهدم ولا يبني ، الشدة تفسد ولا تصلح . الرفق والإحسان إلى الناس هو الذي يحول البغض في القلوب إلى محبة صادقة فياضة ، ما أحوجنا إلى أن نعي هذا الدرس .

يأتي شاب شرح الله صــــدره للالتزام فأعفى اللحية ، وقصر الثوب ، وحافظ على مجالس العلم ، ولا زال أبوه بعيداً عن طريق الله ، ولا زالت أمه بعيدة عن طريق رسول الله ﷺ ، فيجعل هذا الشاب من البيت حريقاً محرقاً مدمراً ، يسيء إلى والده ، ويسيء إلى أمه ، يسفه أباه ويحتقر أمه ، ويضرب إخوته ، ويسيء إلى إخوانه ، فيظن أهل البيت أن الالتزام غضب مستمر . لا يا أخي أنت أسأت إلى الإسلام من حيث لا تدري ، وأسأت إلى منهج النبي ﷺ في الدعوة من حيث لا تشعر ، ففرقوا أيها الشباب وأيها المسلمون بين مقام الجهاد الذي يحتاج إلى الغلظة والقسوة والشدة ، وبين مقام الدعوة الذي يحتاج إلى اللين والحكمة والرحمة قال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل : ١٢٥].

بل وخاطب الله نبيين كريمين خاطب موسى وهارون : ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ**

إِنَّهُ طَغَى ۝ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤].

قرأ سيدنا قتادة – رحمه الله – الآية فبكى ، وقال سبحانك ما أحلمك ، إن كنت تأمر موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً ليناً ، فإن كان هذا هو حلمك بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فكيف يكون حلمك بعبد قال سبحان ربي الأعلى ؟!.

أحبتي في الله : إن ثمامة تأصَّل البغض في قلبه ، وأنتم تعلمون أن البغض الآن متأصل في قلوب كثيرة في الشرق والغرب .

أقول : تأصل البُغض في قلب ثمامة . لا لشخص النبي ﷺ بل لدين النبي بل لبلد النبي فما الذي حدث ؟!

تحول هذا البغض إلى حب بالرفق والإحسان والحكمة والرحمة واللين .

هذه هي متطلبات مقام الدعوة إلى الله ، البغض الآن متأصل في قلبي الشرق والغرب على الإسلام ، فصورة الإسلام مشوهة ، مُحرَّفة ، مبدلة !! فكيف نحول هذه الصورة إلى حقيقتها ؟!! والإجابة : إذا عدنا نحن ابتداءً إلى هذا الإسلام ، فحولنا الإسلام بعظمته بيننا ابتداءً وعلى أرض الواقع ، وفي دنيا الناس إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، يتألق سمواً وروعة وجلالاً ، فإن القول إذا خالف الواقع والعمل ، بذر بذور النفاق في القلوب كما قال علام الغيوب : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٢ - ٣].

ولاحظ أن ثمامة لما شرح الله صدره للدين وضع كل قدراته وإمكانياته وطاقاته لنصرة الدين فاستشعر المسئولية العظيمة التي أُلقيت على عاتقه منذ أول لحظة دخل فيها إلى دين الله – جل وعلا – فخلع رداء الكفر على عتبة التوحيد والإيمان ، وأعلن الفاصلة الحاسمة بين الإيمان والشرك فأعلن الولاء لله ورسوله والمؤمنين وعلى الفور عادى الشرك والمشركين .

هذه كلها دروس مترابطة لا ينفك درس منها عن الآخر ، بمجرد أن يشرح صدر المرء للإسلام لابد من أن يخلع رداء الكفر على عتبة الإيمان ، وأن يعلن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين وأن يعلن البراءة من الشرك والمشركين ، وأن يسخر كل طاقاته وقدراته وإمكانياته لنصرة هذا الدين الذي منَّ الله به عليه .

لاحظ قولة ثمامة وهو يقول للمشركين : والله لا تصل إليكم حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ ، وعاد ثمامة ليضرب حصاراً اقتصادياً على قريش . والسلاح الاقتصادي من أخطر الأسلحة ، وبكل أسف يُستخدم الآن ضد المسلمين . حصاراً اقتصادياً على العراق .. حصاراً اقتصادياً على السودان .. حصاراً اقتصادياً على ليبيا .. حصاراً يستخدم لإذلال المسلمين .. وليت الأمة تعي يوم أن استخدمت هذا السلاح مرة واحدة في حرب العاشر من رمضان – لا أقول حاصروا الغرب حصاراً اقتصادياً كاملاً بل بسلاح واحد من أسلحة الحصار ، ألا وهو سلاح البترول – تغيرت الموازين وانقلبت .

والأمة المسلمة تمتلك من القدرات والإمكانيات والمقومات ما تستطيع بها – لو اتحدت كلمتها على قلب رجل واحد – أن تغير موازين العالم بأسره ، فأموال الأمة الإسلامية في بنوك الشرق والغرب تحرك دفة السياسة العالمية بأسرها .

انطلق ثمامة بمفرده ليضرب حصاراً اقتصادياً على قريش حتى أكلت قريش العلهز[١] واستجار القرشيون من أهل مكة بنهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله ﷺ قالوا : إنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة قد منع عنا الميرة من اليمامة ، فإن شئت فاكتب إليه ليخلي بيننا وبين الميرة ، فما كان من نهر الرحمة وينبوع الحنان – الذي يأمر بصلة الأرحام ، مع أنهم أعداؤه ، مع أنهم الذين أساؤوا إليه ليل نهار – ما كان منه إلا أن يكتب إلى ثمامة ﷺ أن يخلي بينهم وبين ما يصل إليهم من ميرة ففعل ثمامة ليعلم القرشيون قدر ومكانة رسول الله ﷺ .

وهذا ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي – رضوان الله عليه – لما قال رأس النفاق أبوه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فلما سمع ولده عبد الله بذلك ذهب إلى النبي ﷺ فقال له المصطفى : « **أَوَ مَا سَمِعْتَ مَا قَالَهُ أَبُوكَ يَا عَبْدَ الله** » قال : وماذا قال أبي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟. قال :

---

(١) العلهز : شيء كانوا يأكلونه في عام المجاعة يخلطون فيه الدم بوبر الإبل ثم يُشوى على النار فيأكلونه إذا اشتد بهم الجوع .

((**قَالَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**)) فقال عبد الله بن عبد الله بن أُبي : صدق والله أبي فأنت الأعز وهو الأذل ، ثم قال : يا رسول الله والله لترى ما تقر به عينك ، فانطلق عبد الله ووقف لأبيه بالسيف على باب داره فقال عبد الله لأبيه : والله لا يأويك ظلها (يعني المدينة) ولا تبيتن الليلة في بيتك إلا بإذن من الله ورسوله لتعلم من الأعز ومن الأذل ، إنه الولاء لله والرسول والمؤمنين .. إنه البراء ، إنها المفاصلة الحاسمة .

دروس غالية يجب أن نقف أمامها طويلاً ، فإن سيرة النبي ﷺ حافلة بالدروس والعبر لكننا بكل أسف أصبحنا نتعامل – إلا من رحم الله – مع سيرة النبي ﷺ لمجرد الثقافة الذهنية الباردة ، أو لمجرد الاستمتاع السالب ، أو لمجرد الدراسة النظرية .. وكأن سيرة النبي ﷺ كانت وفقط !!

والله ما أرسل الله نبيه وما جعل الله حياة النبي ، وسيرة النبي ، وسنة النبي ﷺ ماضياً فحسب ، بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد شموس الحياة ودماءً تتدفق في عروق مستقبلنا وأجيالنا .

هذه السيرة ليست للدراسة النظرية ، بل لنحولها في حياتنا إلى واقع حياة .. وإلى منهج عملي .. يتألق سمواً ، وروعة ،

فلنتعلم هذا الرفق .. وهذه الرحمة .. وهذه الأخلاق .. وصدق ربي إذ يقول : ﴿ **وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا**

يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥].

وصدق المصطفى إذ يقول كما في صحيح مسلم ((**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**))[1] وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ((**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَمَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَه**))[2].

تدبروا هذا الدرس الذي رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي يقول : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم (أي في الصلاة) فقلت : يرحمك الله (أي وهو في الصلاة) يقول : فرماني القوم بأبصارهم فقلت : وَاثُكْلَ أُمِّيَاه ! ما شأنكم تنظرون إليّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَني لَكنِّي سَكَتُ ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه تعليماً ، فوالله ما كَهَرَني ولا ضَرَبَني ولا شَتَمَني وإنما قال : ((**إِنَّ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاس ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القُرْآن**))[3].

هل هذه الدروس لمجرد الاستماع السالب ؟! أم لتحول الأمة هذه الأخلاق

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٩٣) في البر والصلة ، باب فضل الرفق .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٩٤) في البر والصلة ، باب فضل الرفق .

(٣) **صحيح** : رواه مسلم (٥٣٧) في المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة .

وهذه الدروس في بيوتها ، وأماكن عملها ، وحياتها وواقعها إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ؟! ورسول الله هو أسوتنا وقدوتنا . قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب النبي ﷺ مه مه (يعني ماذا تصنع) فقال المصطفى ﷺ : ((**لاَ تُزْرِمُوهُ . دَعُوهُ**)) (لا تقطعوا عليه بولته) فتركوه حتى بال ، ثم نادى عليه نهر الرحمة وينبوع الحنان ومعلم الحكمة نادى عليه بأبي هو وأمي وقال له : ((**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**))[١] وفي رواية ابن ماجه بسند صححه شيخنا الألباني - رحمه الله - إن هذا الأعرابي أصبح فقيهاً بعد هذه الكلمات فقال بأبي هو وأمي قام إلي ، ولم يؤنب ، ولم يسب ، ولم يضرب .

ثم انفعل هذا الأعرابي بأخلاق الحبيب النبي ﷺ فقام يدعو للنبي في الصلاة كما في رواية البخاري[٢] في كتاب الأدب من حديث أبي هريرة أنه

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٥) في الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، ومسلم (٢٨٥) في الطهارة ، باب وجوب غسل البول .

(٢) البخاري (٦٠١٠) في الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم .

قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا ! أحداً فلما سَلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي : ((**لقد حَجَّرْتَ واسعاً**)) لماذا ضيقت ما وسع الله جل وعلا - يريد رحمة الله - فالله سبحانه يقول : ﴿ ... **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ... ﴾ [الأعراف : ١٥٦].

وتدبروا أيضاً هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد من حديث أنس أن النبي ﷺ لما فتح حنين فقسم في المهاجرين والطلقاء و لم يعط الأنصار شيئاً ، فغضب الأنصار الأطهار الأبرار وقالوا : يغفر الله لرسول الله يُعطي قريشاً ويترُكُنا وسُيُوفُنا تقطر من دمائهم . قال أنس : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبَّة من أدم ، و لم يَدْعُ معهم غَيْرَهم فلما اجتمعوا قال النبي ﷺ فقال : ((**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ**)) فقال له فُقَهاء الأنصار : أما ذَوُو رَأْينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناسٌ منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يُعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال النبي ﷺ : ((**فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ ؟ ، فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**))[1] وفي رواية ابن اسحق بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن الأنصار قال قائلهم : والله

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٤٣٣١) في المغازي ، باب غزوة الطائف ، ومسلم (١٠٥٩) في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

لقد لقي رسول الله ﷺ قومه (أي لما لقي رسول الله ﷺ قومه من قريش أعطاهم ونسينا) فلما سمع ذلك سعد بن عبادة انطلق إلى النبي ﷺ فاخبره بما قال الأنصار فقال النبي المختار : اجمع لي الأنصار يا سعد ، فانطلق سعد فجمع الأنصار فخرج النبي ﷺ إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ((**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَم أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِيَ ؟ ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي ؟ ، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي ؟**)) فسكت الأنصار ، فقال المصطفى : ((**أَلاَ تُجِيبُون يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟**)) فقالوا : الله ورسول أَمَنُّ . فقال المصطفى ﷺ : ((**والله لَوْ شِئْتُم لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ ، لَقُلْتُم جِئْتَنَا طَرِيداً فَآوَيْنَاك ، وَعَائِلاً فَوَاسَيْنَاكَ ، وَخَائِفاً فَأَمَنَّاكَ ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاك**)) فقال الأنصار : المنّ لله ولرسوله ﷺ ، فالتفت المصطفى إليهم وقال بلغة الإحسان والرفق والرحمة والحنان ، قال المصطفى : ((**وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَة** (أي في أمر تافه من الدنيا) **فَأَلَّفْتَ بِهَا قُلُوبَ قَومٍ أَسْلَمُوا حَدِيثاً ، وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِيمَانِكُمْ باللهِ ورسُولِه ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ إلى رِحَالِهِم بالشَّاةِ والبَعِير وَتَرْجِعُونَ أَنْتُم إلى رِحَالِكُم بِرَسُولِ الله**)) ثم التفت إليهم مرة أخرى وقال : ((**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شَعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ**)) ثم رفع يديه وقال : ((**اللهُمَّ ارْحَم الأَنْصَار ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَار ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ**

الأَنْصَار » فبكى الأنصار حتى اخضلت لحاهم من البكاء أمام هذا الإحسان والرفق ، وحسن التصرف ، والمعاملة .

وأختم هذه الدروس بدرس جميل آخر رواه الطبراني[1] من حديث عبد الله ابن سلام بسند رجاله ثقات أن حبر اليهود زيد بن السعنة قال : والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه النبي حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما فيه الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

يقول : فانطلقت يوماً فرأيت النبي ﷺ وقد أقبل عليه رجل يركب راحلته وهو يقول : يا رسول الله إن قومي من قرية كذا أو من بني فلان في قرية كذا كانوا قد دخلوا الإسلام فكنت وعدهم أهم إن دخلوا الإسلام أن يأتيهم الرزق رغداً ، وقد أصابتهم اليوم شدة فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طردا كما دخلوا الإسلام طمعاً فإن رأيت أن نرسل إليهم بشيء من المال لتغنيهم به فعلت وجزاك الله خيراً فالتفت النبي ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب وكأنه يريد أن يسأل هل عندنا من المال شيء ؟!! يقول زيد بن سعنة : فأقبلت على محمد ﷺ وقلت يا محمد هل تبيعني تمر حائط بني فلان إلى أجل

---

(١) قال الحافظ في الإصابة : رواه الطبراني ، والحاكم ، وأبي الشيخ ، وابن سعد وغيرهم ثم قال : ورجال إسناده موثوقون ، وذكره ابن كثير في البداية وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٤٠) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

معلوم ؟ فقال النبي ﷺ : ((**نَعَمْ لَكن لا تُسمِّي حَائِطَ بني فُلان**)) فقال زيد ابن سعنة : قبلت . يقول زيد : فأعطيت النبي ثمانين مثقالاً من ذهب فدفعها كلها إلى الرجل وقال : ((**أَغِثْ بِهَذَا المَالَ قَومَكْ**)) يقول زيد : وقبل أن يحل وقت السداد رأيت محمداً في نفر من أصحابه ، بعد أن صلى على جنازة رجل من الأنصار ، يجلس إلى جوار جدار ، فأقبلت عليه ، وأخذت النبي من مجامع ثوبه وقلت له : أدي ما عليك من دَيْنٍ يا محمد فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مُطْلاً !! فالتفت عمر إلى هذا الحبر اليهودي – وهو لا يعرفه – وقال : يا عدو الله تقول لرسول الله ما أسمع ، وتفعل برسول الله ما أرى ، والله لولا أني أحذر غضبه ﷺ لضربت رأسك بسيفي هذا !! فالتفت النبي إلى عمر وزيد بن سعنه يراقب وجه النبي ، ويراقب كلمات النبي ، ويريد أن يسمع ماذا سيقول رسول الله ﷺ في هذا الموقف الرهيب العصيب ، فالتفت النبي إلى عمر وقال : ((**أَنَا وَهُو يَا عُمَرُ كُنَّا أَحْوَجَ إلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضه حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ جَزَاءَ مَا رَوَّعْتَهُ**)) يقول زيد : فأخذني عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من التمر . فقلت له : ما هذه الزيادة . قال : أمرني رسول الله أن أزيدكها جزاء ما روعتك . فقال زيد بن سعنة : ألا تعرفني يا عمر . قال : لا . قال : أنا زيد بن سعنة . قال عمر : حبر اليهود . قال : نعم . قال عمر : فما الذي حملك على أن تفعل برسول

الله ما فعلت ؟!! قال زيد : يا عمر والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما ، فيه الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً أما وقد عرفتهما اليوم فإني أشهدك أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وعاد حبر اليهود مع عمر بن الخطاب إلى المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وشهد مع رسول الله ﷺ بعد ذلك كل المشاهد والغزوات وتوفى في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ﷺ .

أيها المسلمون : أيها الأحبة الكرام .

ألم أقل لحضراتكم أن الإحسان إلى الناس يحول البغض في القلوب إلى حب ؟! ليت الأمة تعي هذا الدرس بحكامها ، وعلمائها ، وشبابها ، ونسائها .

ليت الأمة تعود إلى سيرة النبي لتحول هذه السيرة العطرة والأخلاق الذكية في حياتها إلى واقع عملي وإلى منهج حياة .

فوالله ! ما تعلقت القلوب برسول الله ﷺ إلا لهذه الأخلاق السامية .

لقد كرم النبيَّ أعداؤه قبل أصحابه وأصدقائه . شهد الأعداء لرسول الله على الأقل بينهم وبين أنفسهم بالصدق ، والنبل ، والرجولة ، والأخلاق ، والحق ما شهدت به الأعداء . لقد قال عروة بن مسعود الذي ذهب ليفاوض النبي ﷺ في الحديبية – كما جاء في البخاري[1] جعل يرمُق أصحاب النبي ﷺ

---

(١) **صحيح** : البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) في الشروط ، باب الشروط في الجهاد .

بعينيه فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! والله لقد وفدتُ على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، فوالله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما رأيت أصحاب محمد يعظّمون محمداً ، والله ما تنخم نخامة إلا ووقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ! وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ! وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له !!

إن الأمة الآن تتعامل مع هذه السيرة كما ذكرنا تعاملاً نظرياً ، تعاملاً ذهنياً .. تستمتع بالسيرة استمتاعاً سالباً !! بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد لنا شموس الحيـــاة ، يجب أن تكون سيرته دماءً تتدفق في عروق أجيالنا مستقبلنا لنحول هذه السيرة في حياتنا إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، وهذا هو عنصرنا الثالث من هذا اللقاء .

وأرجيء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ .

أما بعد :

ثالثاً : عودة واجبة إلى الله جل وعلا وإلى سيرة وحياة المصطفى ﷺ .

أيها المسلمون : قد يكون من اليسير جداً أن نقدم منهجاً نظرياً في التربية والأخلاق ولكن هذا المنهج النظري سيظل حبراً على ورق ما لم يتحول في حياة الناس إلى واقع عملي ، ومنهج حياة ، بل قد لا يساوي قيمة المداد الذي كُتِبَ به ما لم يتألق في دنيا الناس سمواً وروعةً وجلالاً ، ولقد نجح النبي ﷺ في أن يجعل من الأعراب ومن العرب المنبوذين في أرض الجزيرة الذين لا ذكر لهم ولا وزن قبل الإسلام ، استطاع النبي ﷺ أن يجعل من هؤلاء الحفاة العراة جيلاً قرآنياً فريداً لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً على الإطلاق وذلك يوم أن نجح المصطفى ﷺ في أن يطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامي ولكن لم يطبع هذه النسخ بالحبر على صحائف الورق وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور ، فحول أصحاب النبي ﷺ هذا المنهج النظري في التربية والأخلاق إلى واقع عملي يتألق عظمة وروعة في دنيا الناس فرأت البشرية كلها نبلهم وصدقهم ، فرأت منهج الله يمشي على قدمين في دنيا الناس كما قالت عائشة عن رسول الله ﷺ ((**كَانَ خَلُقُهُ الْقُرْآنُ**))[1].

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦) في صلاة المسافرين ، باب جامع في صلاة الليل .

كان النبي قرآناً متحركاً في دنيا الناس ، وكذلك كان أصحاب النبي ﷺ يمتثلون أمر الله ورسوله .. ويجتنبون نهي الله ورسوله .. ويقفون عند حدود الله جل وعلا الذي يعلمهم إياها رسول الله ﷺ .

ووالله لن نكون من أتباع النبي حقاً إلا إذا عدنا فسرنا على هذا الطريق من جديد .. فلتنظر كل نفس تدعي الإيمان بالله ورسوله .. وتدعي الحب لله ولرسوله ﷺ أين هو من حقيقة الإيمان وحقيقة المحبة وصدق الاتباع ؟.

فالعودة إلى الله ورسوله ليست نافلة ، ولا تطوعاً ، ولا اختياراً ، بل هي عودة واجبة ، بل إننا أمام شرط الإسلام وحد الإيمان إما إيمان باتباع المصطفى والسير على طريقه ، وإما كفر بالانحراف عن منهج الله وعن طريق رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥].

قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [النور : ٥١ ، ٥٢].

وقال في حق المنافقين الذين يسمعون ويعرضون .. ويسمعون وينحرفون .. يسمعون ويهزؤون ويسخرون .. قال الله في حقهم : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ**

يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦٠ ، ٦١].

إذاً المؤمن هو الذي يسمع للنبي ويطيع « ... **فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّداً ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّداً ﷺ فَقَدْ عَصَى الله ، ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ** »[(١)] فسيرة النبي ليست من أجل الثقافة ، ولا من أجل النظريات والمجادلات وإنما من أجل أن تحوّلها الأمة في حياتها إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة .

لابد من هذه العودة في هذه الأيام .. لابد من عودة إلى الله ورسوله ﷺ فوالله لن تعود الأمة إلى مكانتها إلا إذا عادت إلى المنهج الذي رفعها من أسفل سافلين إلى أعلى عليين .. إلى منهج رب العالمين .. ومنهج سيد المرسلين ﷺ .. الأمر جَدُّ خطير .

هل تعلم أن مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل ؟ .

هل تعلم أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – كادا أن يقعا في الهلاك لمجرد أنهما رفعا أصواتهما فوق صوت النبي ؟ أبو بكر وعمر العظيمان في هذه الأمة – بعد نبيها – تعرضا للهلاك والحديث في صحيح البخاري[(٢)] عن ابن أبي

---

(١) **صحيح** : البخاري رقم (٧٢٨١) في الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٢) **صحيح** : البخاري (٤٨٤٥) في التفسير ، باب « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » .

مليكه قال : كاد الخيران أن يهلكا ، أبا بكر وعمر ، رفعا أصواهما في مجلس النبي فقط لما أقبل وفد بني تميم على الحبيب ﷺ . قال أبو بكر : أَمِّرْ عليهم القعقاع بن معبد يا رسول الله ، فقال عمر : لا بل أمر عليهم الأقرع بن حابس يا رسول الله ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي يا عمر . قال عمر : لا ما أردت خلافك يا أبا بكر . فقط هذه هي الكلمات بنصها .

هذا هو الحوار ، ما الذي حدث ؟ لا شيء إلا أن الصوت قد علا عند النبي المصطفى ﷺ فنَزل القرآن يحذر ونزل القرآن يربي .

قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات : ٢]

أيها المسلمون : إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل . فكيف بتنحيه شرع النبي ؟!! واهام شريعته بالجمود ، والقصور ، والرجعية ، والتخلف ؟!! وعدم قدرهَا على مسايرة مدنية القرن الحادي والعشرين .

من يدعي حب النبي ، ولم يفد   من هـــديه فسفاهةٌ وهـــراءُ
فالحب أول شرطه وفروضـــه   إن كان صدقاً طاعة ووفـــاء

وأختم بهذه القصة اللطيفة التي طالما ذكرت بها لأبين أين نحن من المحبة الصادقة ؟ فلقد جاء تلميذ إلى أستاذه وقال : يا أستاذي علمت أنك ترى رسول الله في رؤياك . قال : وماذا تريد يا بني ؟ قال : علمني كيف أراه فإني

في شوق لرؤياه ؟! فقال أستاذه : فأنت مدعو لتناول العشاء معي هذه الليلة لأعلمك بعد ذلك كيف ترى حبيبك رسول الله ﷺ .

وذهب التلميذ لأستاذه ووضع الأستاذ المربي العشاء بين يدي تلميذه وأكثر فيه الملح ومنع عنه الماء فطلب التلميذ الماء مراراً فأبى عليه أستاذه بل وأصر عليه أن يزيد في الطعام . فقال له : نم وإن استيقظنا قبل الفجر إن شاء الله تعالى سأعلمك كيف ترى النبي في رؤياك ، فنام التلميذ يتلوى من شدة العطش ويتألم من الظمأ فلما استيقظا قال له أستاذه : أي بني قبل أن أعلمك كيف ترى النبي أسألك هل رأيت الليلة شيئاً في منامك ؟ قال : نعم . قال ماذا ؟ قال : رأيت يا سيدي الأمطار تمطر ، والأنهار تجري ، وبحار تسير !! فقال أستاذه المربي : نعم يا بني صدقت نيتك فصدقت في رؤيتك ، ولو صدقت محبتك لرأيت رسول الله ﷺ .

ما أيسر الادعاء وما أسهل الزعم ، وما أرخص الكلام ، لكن أين نحن من اتباع حقيقي ؟ أين نحن من عودة صادقة لسيرة وحياة النبي ﷺ ؟

والله ليس لها من دون الله كاشفة ، إلا إذا عادت الأمة مرة أخرى إلى منهج الرب العلي .. وإلى سيرة وحياة النبي ﷺ .. لتحول هذه السيرة العطرة ، وهذه الحياة الحافلة في حياتها – من جديد – إلى واقع عملي .. وإلى منهج حياة .

أسأل الله جل وعلا أن يرد الأمة رداً جميلاً .

الدعـــاء ...

الزواج العرفي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله :

نتحدث اليوم عن ظاهرة خطيرة تنتشر في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم فإنه لا ينبغي أن يكون العلماء بموضوعاتهم وأطروحاتهم في جانب وأن تكون الأمة وأن يكون المجتمع بمشاكله وهمومه في جانب آخر .. نحن اليوم على موعد مع هذه الظاهرة التي تسمى بـ « **الزواج العرفي** » وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :

أولاً : الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية .

ثانياً : الزواج السري باطل .. شرعاً وعرفاً .

ثالثاً : الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!

رابعاً : هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج .

وأخيراً : فهل من توبة ؟!!

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾

أولاً : الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية :

أحبتي الكرام : إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها ، وإنما ينظمها ، ويطهرها ، ويرفعها عن المستوى الحيواني والبهيمي .. وهذا هو الذي يليق بالإنسان الذي كرمه الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٧٠].

فالزواج آية من آيات الله ، وسنة من سنن رسول الله ﷺ ، والإسلام يقيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من المشاعر الطاهرة الرقيقة التي تنبني على السكن النفسي والبدني والمودة والرحمة . قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم : ٢١].

أما بيت الزوجية فمملكة إيمانية . الزوج ملكها ، وربانها ، والمسير لأمورها وشؤونها ، بما جعل الله له من قوامة في قوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ والزوجة هي الأخرى ملكة متوجة في هذه المملكة الإيمانية لأنها شريكة الحياة ورفيقة الدرب وقرة العين ، أما الرعية في هذه المملكة الطيبة بين هذين الملكين الكريمين ، فهم ثمرة الفؤاد .. ولب الكبد .. وزهرة الحياة الدنيا .. هم الأولاد قال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ .

هذه المملكة إن ظلل سماءها منهج رب البرية .. وسيد البشرية ، وروى نبتها بماء الإخلاص والمودة والرحمة الندية ، أتت ثمارها كل صبح وعشية .. وأينعت في أرضها زهرات الحب ، والوفاء ، والإخلاص ، والأخلاق العلية .

وهذا هو السبيل الشرعي الوحيد الذي يضمن للمرأة حقوقها ، وكرامتها ويضمن للأولاد حقوقهم ، وكرامتهم ، في المجتمع الإسلامي ، لأن الزوج في هذا الزواج الشرعي مسئول مسئولية كاملة عن زوجته وأولاده في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿ **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ ...** ﴾ [الطلاق : ٧].

ولقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦].

ولقول النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر : ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**))[1] .

ولقـــول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حـــديث جابر بن عبد الله ((... **اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**)) ثم قال المصطفى : ((**وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**))[2] .

---

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (٢٧٥١) في الوصايا ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل .

(٢) **صحيح** : مسلم رقم (١٢١٨) في الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

هذا هو الزواج الشرعي الذي عرفه المسلمون منذ زمن الوحي إلى أن صرنا إلى هذا الزمان الذي يموج بالفتن ، فتن الشهوات والشبهات .. إلى أن صرنا إلى هذا الزمان الذي اختلت فيه المقاييس الصحيحة للحلال والحرام !! وتجرأ فيه كثير من الناس على محارم الله جل وعلا وعلى حدوده !! ورأينا ظاهرة جديدة تنتشر الآن في المجتمع انتشار النار في الهشيم ، تلك الظاهرة التي تسمى بالزواج العرفي وهو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء ..

الزواج السري الذي يطلقون عليه « العرفي » باطل شرعاً وعرفاً فأعيروني القلوب والأسماع جيداً ، لإن هذا العنصر هو لب الموضوع وأساسه ونظراً لأهميته وخطورته فسوف أركز الحديث فيه على ثلاثة محاور .

المحور الأول : صورة الزواج العرفي القائم .

المحور الثاني : بطلانه عرفا .

المحور الثالث : بطلانه شرعاً .

أولاً : صورة الزواج العرفي القائم :

تتلخص في التقاء الرجال بالنساء أو الشباب بالفتيات في العمل أو المدارس والجامعات ، فيترصد الشاب لفتاة مستهترة !! وهذه الفتاة يعرفها الشباب جيداً ، وذلك من خلال شعرها المكشوف ، وثوبها الضيق أو العاري الذي يظهر كل فتنة مخبوءة في جسدها ، يعرفها الشباب من خلال عطرها الأخاذ وبرفالها العاصف وحركاتها المثيرة وكلماتها المؤثرة وإلا فأنا أتحدى أن

يترصد شاب مستهتر لفتاة تجلببت بجلباب الحياء والعفة والمروءة والطهر والشرف ، يترصد الشاب لفتاة مستهترة - من هذا النوع الذي ذكرت - ويلهب مشاعرها وأحاسيسها بكلمات الحب ، والعشق ، والغرام التي حفظها من كتب الأدب المكشوف ، أو من المسلسلات والأفلام ، ويقسم لها الشاب بالتوراة والإنجيل والقرآن أنه يحبها حباً قد أحرق فؤاده ، وأنه لا يصبر على فراقها في لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثَمَّ فهو يريد أن يتزوج بها ولكن - ولكن ماذا ؟!! ولكن الظروف لا تسمح الآن !! من هنا يحاول الشاب أن يقنع الفتاة أن يتزوجها سراً !! يعني بدون علم الولي ، يعني بدون علم والد الفتاة المسكين ، الذي يربي وينفق ، ثم تتزوج ابنته زواجاً باطلاً من غير أن يدري المسكين عن هذا الزواج شيئاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!!

يأتي هذا الشاب ليكمل فصول خديعته ، وخيانته الكبرى ، فيأتي بورقة ويُشهد عليها زميلين من زملائه المقربين ، ممن يعرفون علاقاته المحرمة والمشبوهة يُشْهد هذا الشاب زميليه على هذا العقد العرفي الباطل ليكون هو بدوره شاهداً لواحد منهما على عقد عرفي باطل جديد .

وأقول لكم أيها الأحبة : إن أي عقد زواج يباركه الولي - يعني والد الفتاة أو وليها - ويشهد عليه الشهود ويعلن للمجتمع الإسلامي فهو عقد شرعي صحيح وإن لم يوثق في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، وأي

عقد زواج لا يباركه الولي وبدون إعلان وشهود فهو عقد باطل وإن سجل في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، لأن وثيقة الزواج الرسمية ليست شرطاً في صحة العقد إنما هي من باب المصالح المرسلة التي يضمن من خلالها حقوق النساء في زمان خربت فيه الذمم ، وقل فيه أهل الأمانة !!

أما المحور الثاني : وهو سؤال مهم : هل يُقر عُرف الناس ذلك ؟!

الجواب : لا ورب الكعبة ، بل العرف يبطله ، لأن العرف عند علماء الأصول : هو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم ، وقد يقر الشرع عرفاً ، وقد لا يقر الشرع عرفاً ، بمعنى أن الشرع المطهر قد يحكم على عرف من أعراف الناس بالجواز ، وقد يحكم على عرف من أعراف الناس بالبطلان ، فالشرع قد يقر عرفاً وقد يبطل عرفاً آخر .

أما العرف المعتبر شرعاً : هو العرف الذي لا يخالف نصاً شرعياً أو قاعدة من قواعد الشريعة ، هذا هو العرف المعتبر في ميزان الشرع .

والسؤال : ائتوني برجل مسلم عاقل على وجه الأرض - لا في مصر بل في بلد أوروبي - يقول بأن المسلمين منذ زمن الوحي إلى هذا الزمان قد تعارفوا في تزويجهم لأبنائهم وبناتهم على هذه الصورة السرية المحرمة الخبيثة !!

بمعنى أن تزوج البنت نفسها بدون إذن وليها وأن ينطلق الشاب أو الفتى ليتزوج بأي فتاة بدون علم الوالد أو بدون علم الأسرة .. هل تعارف الناس على هذه الزيجة الخبيثة والعلاقة المحرمة ؟!! التي تقوم على أساس من الغش

والنفاق والخداع والخيانة ؟! خيانة من شاب وفتاه ، من شاب خان أسرته وأهله ومجتمعه بعد أن خان الله ورسوله ، ومن فتاة خانت أسرتها ومجتمعها بعد أن خانت الله ورسوله وإن توهم أحد من الشباب أنه قد تزوج زواجاً شرعياً صحيحاً ، فأنا أسأله – وأرجو أن يصدق في الجواب –: إن كنت تعتقد أنك تزوجت زواجاً شرعياً صحيحاً فلماذا أخفيته عن أهلك ؟! وعن أقرب الناس إليك ؟!! فالحلال لا يعرف السرية ولا يخشى الظهور .

ثم .. لماذا تتلصص وتبحث عن مكان خفي لا يراك فيه أحد من الناس لتخلو بفتاة أو بزميلة في الجامعة في شقة مفروشة أو في غرفة فندق مظلمة لتزني بدعوى الزواج ؟.

ثم .. ألا تشعر بالخيانة والنفاق والخداع وأنت تأخذ المصروف من والدك كل صباح بحجة الذهاب إلى الجامعة وأنت ذاهب إلى شقة مفروشة أو غرفة مظلمة لتمارس الدعارة والزنى بدعوى الزواج ؟! ثم .. هل تقبل أنت أن يأخذ زميلك في الجامعة أختك إلى نفس الشقة المفروشة ليزني بها بدعوى أنها زوجته وأنت وأسرتك لا تعلمون عن هذا الزواج شيئاً ؟!!

ثم .. هل تقبل بعد ذلك أن تخرج ابنتك أنت إلى الجامعة لترجع إليك بجنين في أحشائها بدعوى أنها قد تزوجت بزميلها في الجامعة ؟!! وأنت في البيت لا تعلم عن ذلك شيئاً ؟!

اصدق في الجواب .. وتذكر قول الله تعالى : ﴿ **بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ**

بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة : ١٤- ١٥]. ولا تنس قول الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]. وردد دوماً قول القائل :

يا هاتكاً حـــرم الرجـــال وتابعاً ... طـــرق الفساد فأنت غير مكرم

من يزني في قـــوم بألف درهـــم ... في قومه يزنى بربـــع الدرهـــم

إن الزنى ديـــن إذا استقرضتـــه ... كان الوفاء من أهل بيتك فاعلم

أأنت تباهي بالزنا فرحاً ؟ أأنت تعبث بالأعراض تيهاً ؟

فقال : بل ذاك شرع صار متبعاً كم تاه غيري به قبلي وكم باها !!

فقلنا : ألست تخاف الله منتقماً ؟! فقال في كبر : لا أعرف الله !!

ويح الشباب إذا الشيطان نازعهم على العقول فأوهاها وألغاها !!

قد علمتهم أفانين الخنا وسائل غشى بصائرها زيغ وأعماها !!

ومطربة ومطرب في المذياع لقنهم ألحان فحش وزكاها وغناها !!

ووالد غافل لاهي ومدرسة نظامها من نظام الدين أقصاها !!

لو أن لي قوة في أمتي ويداً ألزمت حواء مثواها ومأواها !!

كان لها البيت عزاً .. كان لها البيت ملكاً .. فيه ترى السلطان والجاه

فقوضت بيدها عرشها وغدت رعية وذئاب الأرض ترعاها !!

هذه الحضارة دين لا أدين به إني كفرت بمعناها ومبناها !!

لا يقر عرف العقلاء ولا عرف المسلمين ذلك ، ولم يعرف المسلمون هذه العلاقة المحرمة الخبيثة من زمن الوحي إلى أن صرنا إلى زمان الفتن . فتن الشهوات والشبهات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والسؤال الثالث : هل يقر شرع الله ذلك ؟.

والجواب : لا ورب الكعبة ، بل شرع الله يبطل هذا الزواج الخبيث وهذه العلاقة المشئومة ، فعقد الزواج في الإسلام ميثاق غليظ له قدسيته ومكانته عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ .

ولا يحل للزوجين أن يستمتع كل منهما بالآخر – على الوجه الذي شرعه الله – إلا بالقبول ، والإيجاب ، والإعلان ، والولي ، والمهر ، والشهود .

أما القبول والإيجاب : فهما ركنان لا يصح العقد إلا بهما ، وهي صيغة العقد المعروفة ، ومذهب جمهور العلماء أن العقد يصح بأي لفظ يدل على ذلك .

أما الشروط : فأول شرط من شروط صحة العقد : الولي

إذ لا يصح أي عقد في أي أرض ، وتحت أي سماء ، ولأي ظرف من الظروف ، إلا بهذا الشرط ألا وهو شرط الولي . والولي هو والد الفتاة أو من يزوجها إن توفى أبوها أو إن غاب . وليها من أهلها . قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

قال الشافعي – رحمه الله – وهذه الآية هي أبين ما في القرآن كله على أنه لا نكاح إلا بولي ، وستعجبون إذا علمتم سبب نزول الآية ، فلقد نزلت في حق معقل بن يسار ﷺ فلقد زوج معقل أخته لرجل من المسلمين وأحسن إليه معقل وأكرمه ، وبعد فترة طلق هذا الرجل أخت معقل ، فلما انقضت عدتها جاء الرجل مرة أخرى ليرد المرأة ، فقال له معقل بن يسار : زوجتك وأفرشتك ، وأكرمتك ، فطلقتها ثم جئت تخطبها ، والله لا تعود إليك أبداً ، وكان رجلاً لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فنَزل قول الله تعالى على النبي المصطفى ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ** ﴾ أي : فلا تمنعوهن ، فالعضل في اللغة هو : المنع والتضييق والتعسير ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، فلما سمع معقل بن يسار الآية ، قال : الآن أفعل يا رسول الله ، وفي لفظ سمعاً وطاعة الآن أفعل يا رسول الله .. فأعادها إليه بمهر جديد فأنكحها إياه .

استدل جمهور المفسرين بهذه الآية على أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولو كانت ثيباً – لأن أخت معقل بن يسار لم تكن بكراً وإنما كانت ثيباً ، ومع ذلك قال الله لوليها ، **فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ** – إذ لو لم يكن لعضل الولي معنى ما أمر الله ولي المرأة أن يردها إلى الرجل مرة أخرى .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾ [النور : ٣٢]. وانكحوا خطاب من الله لأولياء المرأة واستدل

جمهور المفسرين والإمام البخاري بهذه الآية على أنه لا نكاح إلا بولي ، لأن الخطاب من الرب العلي لأولياء المرأة .

وقال تعالى : ﴿ **فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ وكيف تتزوج البنت بدون إذن الولي ؟! بدون إذن الوالد وبدون علم الأسرة ؟! هذا تشريع الله الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** ﴾ وهذه الآية أيضاً خطاب من الله لأولياء المرأة فلا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو غيرها ، وهذا قول جمهور المفسرين الذين فسروا هذه الآيات الكريمات ، وتأتي السنة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - لتأكد تأكيداً لا لبس فيه ، ولا غموض .. بل ولا تأويل ، لتأكد أنه لا زواج إلا بولي قال المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي ، والدارقطني ، والبغوي ، والطبراني ، والحاكم من حديث أبو موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ** »[1] وفي رواية « **لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ** » وفي الحديث الصحيح الصريح الذي رواه أحمد ، وأبو

---

(١) **صحيح** : أبو داود رقم (٢٠٨٥) في النكاح ، والترمذي رقم (١١٠١) في النكاح ، وابن ماجة رقم (١٩٠٧ ، ١٩٠٨) في النكاح ، وصححه الألباني في الأرواء رقم (١٨٣٩).

داود ، والترمذي ، والبيهقي ، والبغوي ، وابن حبان ، والدارقطني ، والطبراني والحاكم من حديث السيدة عائشة أن النبي ﷺ قال : ((**أَيَّمَا امْرَأَة نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**))(١).

ماذا تريدون بعد ذلك يا من توحدون الله ؟ ويا من تثقون وتصدقون رسول الله ﷺ ؟. ورسول الله هو المشرع في هذه الأمة .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة ، والبيهقي ، والطبراني من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : ((**لاَ تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ ، وَلاَ تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا**))(٢). قال أبو هريرة : الزانية هي التي تزوج نفسها ، وقال ابن عباس : البغي هي التي تزوج نفسها .

وقد يحتج علينا – من باب الأمانة العلمية في طرح الموضوع – بحديث للنبي ﷺ وبقول لأبي حنيفة ، أما الحديث فصحيح رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ((**الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُها**))(٣) والحديث لا يعكر على كلامنا ، فالمراد بالحديث – كما قال جمهور أهل العلم – : أنه

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٢٠٨٣) ، والترمذي رقم (١١٠٢) في النكـــاح ، وابن ماجة رقم (١٩٠٦) ورواه أحمد في المسند (٤٧/٦ ، ١٦٥) ، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠) .

(٢) **صحيح** : ابن ماجة رقم (١٩٠٩) في النكاح ، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤١).

(٣) **صحيح** : رواه مسلم رقم (١٤٢١) في النكاح ، باب استئذان الثيب .

لا يجوز لولي المرأة الثيب أن يزوجها رغماً عنها ، بل لا يجوز له أن يزوجها إلا بأمرها ورضاها ، فإن زوَّجها رغماً عنها فلها أن تفسخ النكاح عند ولي الأمر أو من ينوب عنه ، واستدل العلماء على ذلك بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، وأحمد من حديث خنساء بنت خدام أن أباها زوجها وكانت ثيباً ، فكرهت المرأة ذلك فذهبت إلى النبي ﷺ فاشتكت له فرد النبي نكاح والدها .

أما قول أبي حنيفه – رحمه الله – فإنه يقول : يجوز للمرأة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها وأخذ الإمام من ذلك هذا الحكم من باب القياس على جواز أن تبيع المرأة سلعتها بنفسها، فقاس الإمام على ذلك أنه يجوز للمرأة أن تزوج نفسها !!

وهذا قياس فاسد الاعتبار بإجماع علماء الأصول لأنه قياس مع نص من القرآن وكلام النبي ﷺ ، والقاعدة الأصولية باتفاق وإجماع العلماء تقول : ((لا قياس مع النص))

وأنا أقول إجلالاً مني لأبي حنيفة – رحمه الله – : أن الدليل الصريح الذي ذكرته الآن لو بلغ أبا حنيفة لقال به أبو حنيفة وأنا أكاد أجزم بذلك وأبو حنيفة – رحمه الله – هو القائل : إذا صح الحديث عن النبي ﷺ فهو مذهبي ، وأبو حنيفة هو القائل : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا .

والله جل وعلا هو القائل : ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ**

وَالرَّسُولِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦]. وقال الله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]. بل وستعجبون إذا علمتم أن الأحناف أنفسهم قد خالفوا أبا حنيفة في هذه المسألة ، فأنتم تعلمون – كما ذكر الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار – أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن – وهما أتبع الناس لأبي حنيفة وأعرف الناس بمذهب أبي حنيفة ، بل وهما اللذان أصلا وقعدا قواعد المذهب الحنفي – قد خالفا أبا حنيفة في هذه المسألة بل وفي كثير من المسائل ، وقالا : لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولا يصح الزواج إلا بولي .

فهل ينبغي لمسلم بعد ذلك أن يقدم قول الإمام أبي حنيفة على قول المصطفى محمد ﷺ ؟! هذا هو الشرط الأول من شروط العقد .

الشرط الثاني : الإعلان .

الإسلام أوجب إعلان الزواج وإشهاره ، فالإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل ولا يعترف بزواج السر . قال ابن تيمية : نكاح السر هو نكاح البغايا ، وهو نكاح ذوات الأخدان .

الحلال لا يخشى الظهور ، الحلال لا يعرف السراديب والسرية ، بل يعلن

الحلال عن نفسه بغاية الوضوح .. وبغاية العزة والكرامة .

تزوج في الحلال الطيب واحدة ، واثنتين ، وثلاثة ، وأربعة بشرط العدل وارفع رأسك ولا تستحي من المجتمع الذي أصبح ينظر إلى شريعة الله جل وعلا على أنها جرم يجب على أصحابه أن يضعوا رؤوسهم في الوحل والطين والتراب !! ارفـــع رأسك ما دمت تؤدي ما أمر الله به ، وما شرعه لـــك رسول الله ﷺ . دعوكم من هذه الهزيمة النفسية التي أصابت الأمة وجعلت المسلم ينظر إلى شرع الله المحكم في القرآن والسنة على أنه رجعية ، وتخلف ، وتأخر في الوقت الذي ينظر فيه المجتمع إلى هذه العلاقات المحرمة الخبيثة على أن أهلها ممن تحرروا من قيود المجتمع ومن ضغط الواقع ومن ضغط الدين !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤].

الإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل يوجب عليك الإسلام أن تعلن زواجك في الحلال الطيب ، وأن ترفع رأسك بذلك في المجتمع .

قال المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن الزبير بسند حسن قال : ((**أعلنوا النكاح**)) وفي رواية للطبراني بسند حسن بالشواهد من حديث يزيد بن السائب أن النبي ﷺ سئل : هل يرخص لنا باللهو عند العرس ؟ قال : ((**نعم**)) إنه نكاح لا سفاح ، ثم قال المصطفى ﷺ : ((**أشيدوا النكاح**)) أي : اعلنوه واظهروه .

أما الشرط الثالث من شروط العقد فهو : المهر .

قال تعالى : ﴿ **وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ...** ﴾ [النساء : ٤] ، فالمهر واجب على الرجل وهو حق كامل للمرأة ، ولقد أمر الإسلام بتخفيف المهر وتيسيره كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ جئت أهب لك نفسي ، فصعَّد النظر فيها وصوَّبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست .

وهنا أريد أن أوضح أمراً أنه لا يجوز للمرأة أن تهب نفسها لأحد من الرجال فهذا أمر خاص بالنبي ﷺ قال تعالى : ﴿ **خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ هذا أمر كان لابد من التنبيه عليه .

ونعود إلى حديث سهل قال : فقام رجل من أصحابه ، فقال يا رسول الله ! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : ((**فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟**)) فقال : لا والله ! يا رسول الله ، فقال : ((**اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ ، فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئاً ؟**)) فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ! ما وجدت شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : ((**انْظُرْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ**)) فذهب ثم رجع ، فقال : لا . والله ! يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزاري (قال سهل : ماله من رداء) فلها نصفه ، فقال رسول الله ﷺ ((**مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ**))

فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مُوليا ، فأمر به فدعي ، فلما جاء قال : ((**مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟**)) قال : معي سورة كذا وسورة كذا (عدَّدها) فقال : ((**تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟**)) قال : نعم . قال : ((**اذْهَبْ فَقَدْ مُلِّكْتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**))[1].

فالإسلام أوجب المهر ، لكنه أمر بتخفيفه ، وقد أجمع العلماء على أنه لا حد لكثيره .

الشرط الرابع من شروط صحة العقد : الشهود .

قال النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البيهقي ، والطبراني ، والدارقطني من حديث عائشة : ((**لاَ نِكَاحَ إلاَّ بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْنِ**)) ، وفي حديث عمران بن الحصين الذي صححه الألباني في إرواء الغليل بشواهده أن النبي ﷺ قال : ((**لاَ نِكَاحَ إلاَّ بِوَلِي وَشَاهِدَي عَدْلٍ**))[2] ولقد اتفق علماء الأصول على شروط العدالة وهي : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، وعدم الفسق . هذه شروط مجمع عليها بين علماء الأصول في الشاهد العدل ، ووالله وأنا على منبر النبي ﷺ لقد أرسلت إليّ فتاة جامعية رسالة كتبتها

(١) **متفق عليه** : البخاري (٥١٤٩) في النكاح باب التزويج على القرآن وبغير صداق ، ومسلم رقم (١٤٢٥) في النكاح ، باب الصداق ، وجواز كونه تعليم قرآن .

(٢) **صحيح** : أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢٤٧ موارد) والدارقطني (٣٨٣ - ٣٨٤) ، والبيهقي (١٢٥/٧) ، وصححه الألباني في الإرواء رقم (١٨٥٨) .

بدموع الندم – يوم لا ينفع الندم – تخبرني فيها بأنها قد تزوجت زواجاً عرفياً باطلاً بزميل لها في الجامعة ، وفي يوم من الأيام شعرت بالحمل يتحرك في أحشائها ، فأسرعت إليه لتتوسل بين يديه أن يأتي إلى أهلها ليتزوجها زواجاً شرعياً صحيحاً . تقسم لي بالله أن الشاب أخرج ورقة الزواج العرفي الباطل ومزقها أمام عينيها وبين يديها ثم قال لها : ومن يدريني أنه ولدي ؟!

يتنكر الشاب للفتاه ويمزق الورقة بين يدها لينطلق ليبحث عن فريسة غبية أخرى ، هذا هو الواقع تقول لي الفتاة : أن شاباً من الشابين الذين شهدا على ورقة العقد العرفي الباطل لما علم بذلك ذهب إليها وطلب أن يزني بها !! فلما رفضت هددها أن يفضح أمرها في الجامعة وبين أسرتها ، فهي تسألني وتقول هل تمكنه من أن يزني بها حتى لا تفضح نفسها في الجامعة أو بين أهلها ؟! هذا شاهد من أولئك الشهود الذين يشهدون الآن على وثيقة عقد الزواج العرفي الباطل المشئوم المزعوم .

هل يقول مسلم بعد ذلك أيها الأحبة بأن هذا الزواج السري الباطل يمت إلى لفظ الزواج أو إلى لفظ العرف بصلة من قريب أو من بعيد ؟! لا .. ورب الكعبة . العبرة بالمسميات والحقائق لا بالأسماء ، فلو سميت الخمر بالشامبنيا ، والوسكي والبارندي ، والمشروبات الروحية ، فالمسمى واحد وهو الخمر الحرام ، ولو سمي الربا بالفائدة والعائد أو غير ذلك فهذا لن يخرج الربا عن كونه ربا حرمه الله ، وأنا أقسم بالله أن أي مسلم على وجه الأرض

لا يرضى ولا يقبل هذه العلاقة ولا يقبل هذا الزواج العرفي الباطل لأمه ، أو لأخته ، أو لعمته ، أو لخالته ، أو لابنته ، أو حتى لابنه لأنه خروج عن الدين والأخلاق والفطرة السليمة السوية النقية ، والواقع الآن يؤكد أن المأساة مروعة ، وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز .

ثالثاً : الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!

فأكتفي بثلاث حالات فقط وإلا والله عندي الكثير .

الأولى لفتاة تقول : شكلت أنا وزميلي ثنائي عاطفي كان محل أنظار الجميع – وكأن الجامعة في بلدنا الآن قد تحولت إلى واحات فيحاء للحب والعشق والغرام – تقول : قررنا الزواج عرفياً حتى نضع الأسرتين أمام الأمر الواقع !! ولو صدقت الفتاة الجريئة هذه لقالت وقررنا أن نضع رؤوس الأسرتين في الوحل والطين والتراب ، وإلا فإن كانت الفتاة تتوهم وتعتقد أنها متزوجة في الحلال الطيب ، فأنا أسألها أيضاً ، وأرجو أن تصدق في الجواب لماذا أخفت هذا الزواج عن والدها وعن أمها ؟! هذه الأم المسكينة التي لازالت تتضرع إلى الله أن يرزقها بالزوج الصالح ، فهي لا تدري أن ابنتها متزوجة ، أمر عجيب ، ثم هل يعقل أن تتزوج فتاة طاهرة ، شريفة ، تربت في بيت طهر وشرف وعفة ، دون أن يعلم هذا البيت الشريف الطاهر عن زيجتها شيئاً ؟!

تقول : قررنا الزواج عرفياً لنضع الأسرتين أمام الأمر الواقع ، فلما علمنا

بخبر نجاحنا اتصلت أنا وهو على الأسرتين لنبلغ الأسرتين معاً بخبر النجاح ثم بخبر الزواج تقول ، وأعطيت الهاتف - أي سماعة التليفون - لهذا الشاب الذي تزوجها بالعقد العرفي ليخبر أمها بخبر زواجهما ، والأم لا تعلم ولا يعلم الوالد عن ذلك شيئاً . تقول الفتاة : فلما أخبرها الخبر صرخت الأم صرخة أنا سمعتها وأنا أقف بجواره في سماعة التليفون ، ووقعت الأم المسكينة على الأرض ، ثم أسرع الوالد إلى امرأته التي سقطت ما الخبر ؟ هل ماتت ابنته ؟ فقالت : ليتها ماتت ، لقد تزوجت ابنتك ، فلما علم الوالد المسكين ذلك سقط هو الآخر على الأرض ونقل إلى المستشفى ، وفي غرفة العناية المركزة خرج الطبيب ليخبرهم بأن الوالد قد أصيب بجلطة في المخ أدت إلى شلل نصفي .

حالة ثانية : نُشرت تحت عنوان (الطيار قاتل زوجته المضيفة يعترف) تزوج طيار بزميلة له مضيفة في الطيران ، وهو متزوج وخاف أن يعلن عن زواجه ، تزوج بها في السر بعقد عرفي باطل دون علم والدها وأهلها ، فلما حملت هذه البنت أرادت أن تعلن زواجها وأن تفرح به في المجتمع ، فأنكر ورفض هذا الطيار ذلك ، فلما أصرت قتلها بالسكين في شقتها ثم أحرق جثتها حتى تضيع علامات وأدلة الجريمة .

حالة ثالثة مروعة : والد تزوج ورزقه الله بالأولاد ، وأراد أن يتزوج مرة ثانية ، لكنه خاف من امرأته ، وخاف من المجتمع - الذي أصبح ينظر

إلى تعدد الزوجات على أنه فضيحة وجريمة - فتزوج في السر، وتمضي السنوات والأيام ، ويقدر الله أن يدخل ولده من امرأته الأولى الجامعة وأن تدخل ابنته من امرأته الثانية الجامعة ويقدر الله أن يحب كل منهما الآخر ويقررا الزواج العرفي ، والعجيب أنهما وهما يوقعان العقد وجدا تطابقاً كاملاً في الاسمين فقال الفتى للفتاه : انظري إلى هذا الذوبان وهذا الحب حتى وصل التطابق في الاسمين إلى حد التكامل ، ولما أحست البنت بالحمل في أحشائها أسرعت إليه بالتوسل أن يأتي إلى بيتها ليطلبها رسمياً ، وليتزوجها زواجاً شرعياً صحيحاً وحددت له موعداً ليكون الوالد في البيت وذهب إلى هنالك وكانت المفاجأة من يفتح له الباب ؟ إنه أبوه .. ما الذي جاء به إلى هنا ؟ هل رتبت الفتاه مع الفتى ذلك ؟ لا ، ولكن لما عرف الفتى الحقيقة ألقى بنفسه من الطابق العلوي منتحراً ، وسقط الوالد على الأرض وقد أصيب بأزمة قلبية ، فلما علمت الفتاة الحقيقة أصيبت بحالة فقدت فيها الوعي والنطق .

ثمرة مُرَّةٌ للإعراض عن شرع الله : ﴿ ... **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٧].

وأخيراً : ما هي الأسباب لهذه الظاهرة وما هو العلاج ؟!!.

وهذا هو عنصرنا الرابع .. هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج :

السبب الأول : البعد عن الله عز وجل ، هو أخطر الأسباب ، فالبعيد عن الله ضعيف الإيمان ، يصبح فريسة سهلة للهوى والشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء ، تتحكم فيه صحبة السوء ، ونفسه ، وهواه وشيطانه .

وإن أردتم الدليل العملي على صدق قولي : انظروا نظرة سريعة إلى هؤلاء وهؤلاء .. إلى شباب ضائع ، وإلى شباب طاهر طائع يعيشون في بيئة واحدة في كلية واحدة .. في جامعة واحدة ، يتعرضون لنفس الفتن ونفس المؤثرات ، انظروا إلى هذا الفتى وإلى ذاك الفتى ، شتان .. شتان بين شاب يقيم الليل يتضرع إلى الله جل وعلا ، ويحضر مجالس العلم والعلماء ، ويحافظ على الصلوات في جماعة ، ويقرأ القرآن ، ويصلي الفجر ، ويقرأ ورده اليومي ويقول أذكار الصباح يأخذ كتاب الله بين كتبه الدراسية وينطلق إلى الجامعة ويحمل هموم أسرته ودعوته ، وأمته شتان .. شتان بين هذا الشاب المبارك وبين فتى لم يسمع القرآن ، و لم يعرف قلبه حلاوة الإيمان ، و لم يعرف مجالس العلم و لم يذهب إلى المسجد قط ، ولا يفارق سمعه الغناء الماجن ، والموسيقى الصاخبة ، ولا يتورع أن يخلو هنا وهناك في زوايا وثنايا الجامعة بفتاة متبرجة عارية شتان شتان بين هذا وذاك .

والعلاج يكمن في العودة إلى الله تبـــارك وتعالى ، فبالعودة إلى الله الذي

وعد بأن من جاهد نفسه فيه أعانه الله قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٢-٣].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ .

وفي الحديث الذي رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما بسند صحيح بالشواهد من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : ((**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي روعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَرِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يَنَالُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ**))[1].

السبب الثاني : غياب الأسرة .

غابت الأسرة .. وانعدمت الرقابة !! بدعوى مشؤمة مزعومة ألا وهي دعوى الحرية التي يقلد فيها كثير من المسلمين الغرب الكافر التي تصطدم عقيدته بعقيدتنا اصطداماً مباشراً وتصطدم أخلاقياته بأخلاقنا وأخلاق المجتمع الإسلامي اصطداماً مباشراً ، يقلد كثير من الآباء الغرب فيقول : أنا رجل

---

(١) **صحيح** : أبو نعيم في الحلية (٢٧/١٠) من حديث أبي أمامة ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن حبان والبزار والطبراني من حديث أبي الدرداء وأبو يعلى من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث أبي حميد الساعدي .

ديمقراطي أود أن أؤصل ، وأسس الديمقراطية في بيتي !! أنا رجل أحب الحرية فلتخرج الفتاة في أي وقت تشاء ، وبأي لبس ، وبأي مظهر ، ولتتكلم في التليفون في أي وقت وفي أي ساعة !! أنا لا أشك في أخلاقها ، أنا أثق فيها ثقة عمياء !! هذا كلام باطل ليس في دين الله عز وجل - هذا إن كنت غربياً لا تعرف قرآن ولا سنة - لا يحل لابنتك أن تتكلم مع أي أحد في أي وقت ، ولا يجوز لابنتك أن تخرج إلى الجامعة « بالاسترتش » أو بالثوب العاري أو الضيق ، لا يجوز لها أن تتكلم بالساعات الطويلة مع زميل لها في الجامعة ، أين الإيمان وأين الإسلام ؟ بل وأين الرجال يا مسلمون ؟! ألم يفكر الوالد وألم يسأل الوالد نفسه في ساعة من الساعات مع من تتكلم البنت في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟!! مع من تهمس ؟!!

ألم يسأل الوالد نفسه كيف خرجت البنت إلى الجامعة بهذا الثوب ؟! بالاسترتش أو الثوب الضيق العاري ، بالرائحة الأخاذة التي تعصف بالأنوف ؟!! ألم يسأل الوالد نفسه ؟ ألم تسأل الأم نفسها كيف خرجت البنت بهذا الزي ؟ ألم تفكر في السؤال عن صواحبها مع من تخرج ؟ مع من تتكلم ؟ أين الرقابة ؟! أين الوالد ؟! أين الأم ؟! والله عز وجل يقول : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ .

فالعلاج يكمن بإيجاز في العودة إلى شرع الله ، في العودة إلى قرآن الله ، وإلى سنة رسول الله ، يا مسلمون نحن لا نتلقى تشريعنا عن الشرق الملحد ، ولا عن الغرب الكافر ، بل عن الله جل وعلا وعن رسول الله ﷺ .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : فحدد الآن جواباً على هذا السؤال لمن تسمع ؟ لمن تذعن ؟ ومن تطيع ؟ هل تسمع لله ورسوله أم لشرق ملحد وغرب كافـــر ؟ أم لأولئك الذين يعزفون على وتر الغرب ؟! وعلى وتر التمجيد والتقديس للغرب ؟!!

ووالله ما أصيبت الأمة بالذل ، والذلة ، والهوان إلا يوم أن تركت كتاب ربها وسنة نبيها وراحت لتذوب في بوتقة الغرب .. تلك البوتقة التي تصطدم اصطداماً مباشراً مع عقيدتنا وأخلاقنا وديننا.

أيها المسلمون : إن العلاج يكمن في العودة إلى الشرع المطهر إلى القرآن وإلى السنة الصحيحة وتَذَكَّر أيها الوالد ، وتذكري أيتها الأم كلام النبي ﷺ كما في الصحيحين ، من حديث ابن عمر : ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الرَّجلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**))[1] ورب الكعبة ستسأل عن ابنتك هذه بين يدي الله ، وستسألين أيتها الأم عن ابنتك هذه بين يدي الله ، وأذكر بحديث للنبي في الصحيحين من حديث معقل بن يسار أنه ﷺ قال : ((**مَا مِنْ عَبْدٍ**

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِه إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ))[1]. وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه واتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام :

السبب الثالث من أسباب هذه الظاهرة وهو من أخطر الأسباب : المغالاة في المهور وتكاليف الزواج ونفقاته .

أمام تعنت كثير من الآباء والأمهات في نفقات الزواج تأخر كثير من شبابنا عن الزواج ، وتأخر كثير من بناتنا عن الزواج ، ولولا حياء في صدورهن لصرخن في وجوه الأباء والأمهات : أن ارحموا ضعفنا ، خلوا بيننا وبين شاب مسلم حتى لو كان فقيراً ، ليساعد كل واحد منا الآخر على طاعة الله عز وجل والعلاج يكمن أيها الأباء والأمهات في العودة إلى الإسلام العظيم

---

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (٧١٥٠) في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم رقم (١٤٢) في الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار .

قال النبي ﷺ : ((**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّروا وَبشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**))[١] والحديث في الصحيحين وفي سنن الترمذي بسند حسن من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : ((**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**))[٢].

السبب الرابع : التبرج والاختلاط والخلوة :

فالجسم العاري والنظرة المؤثرة .. والعطر الأخاذ .. والحركات المثيرة .. كل هذا يثير الشهوات الكامنة ويحرك الغرائز الهاجعة في صدور الشباب .. مع اختلاط وخلوة ، تكون الكارثة أعظم .

ولقد استوقفتني كلمات لكاتبة انجليزية تسمى (الليدي كوك) تقول : على قدر كثرة الاختلاط يكثر أولاد الزنى . ولا شك أن جعبة الباحثين لظاهرة الاختلاط والخلوة حافلة بالأحداث المزرية التي تسطع وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين ، محال يا أصحاب العقول الراشدة أن نسكب البنْزين على نار مشتعلة أصلاً ونقول : يا نار إياك إياك والاشتعال !! ومحال أن نكتف شاب بالقيود والحبال ، وأن نلقيه في البحر ثم نقول : إياك والغرق وإياك أن تبتل بالماء !!

---

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، ومسلم رقم (١٧٣٣) في الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة .

(٢) **حسن** : البيهقي في السنن (٨٢/٧) ، وإسناده حسن لأجل ابن هرفر وابني عبيد .

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال   إياك إياك أن تبتل بالماء

إن الجذب بين الرجل والمرأة أمر مركوز في الفِطَرِ ، لأن الله قد أناط بهذا الجذب امتداد النسل البشري على ظهر الأرض ، فحيثما وجد الرجل والمرأة فإن الجذب بينهما أمر فطري .. جبلي .. لا يستطيع مخلوق أن ينفك عنه مهما ادعى لنفسه من مقومات الانفكاك .

والعلاج لهذا السبب يكمن في العودة إلى شرع الله إلى قول الله تعالى : **﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [النساء : ٦٥] فما حرم الإسلام الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج إلا لأنه يهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي طاهر نظيف لا تثار فيه الشهوات ، ولا تستثار فيه الغرائز الهاجعة .

السبب الخامس من أسباب هذه الظاهرة هو الإعلام :

وما أدراك ما الإعلام ؟! فإن الإعلام الآن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا .. بالأدب المكشوف والأفلام والمسلسلات الهابطة .. والمسرحيات الساقطة .. والعزف والتمجيد للفنانين والفنانات ، والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات !! والتشويه المستمر لصور العلماء والدعاة ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

والعلاج يكمن في أن يتقي الله القائمون على الإعلام الذين لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذمة ، وأن يعودوا إلى الأصل الذي من أجله أنشئ هذا الإعلام لنشر الفضيلة ، والقضاء على الشر والرذيلة .

فإن الناظر إلى الخريطة الإعلامية المقدمة إلى أبنائنا ، وبناتنا ، وأطفالنا في البيوت سينقلب إليه بصره خاسئاً وهو حسير لأن هذه الخريطة تعزف على وتر الجنس ، والدعارة ، والعنف ، والجريمة ، والكلمات الساقطة ، والهابطة ، فماذا تنتظرون بعد ذلك ؟!

سادساً : **غياب المؤسسات التربوية الدينية** : والضعف الشديد في الطرح الدعوي الذي لا يتفق مع مشاكل الشباب بصفة خاصة ولا مع مشاكل المجتمع والأمة بصفة عامة ، والعلاج يكمن في أن ترجع الآن وزارة الأوقاف والأزهر وكل القائمين على أمر الدعوة في مصر إلى الدعوة إلى الله بجد وصدق وإخلاص .

ولا ينبغي على الإطلاق - في ظل هذا الظرف الحرج - أن يحال وأن يفرق بين الدعاة الرسميين من الأوقاف والأزهر وبين الدعاة غير الرسميين من غيرها ، ممن آتاهم الله العلم ، وجعل لهم قبولاً بين المسلمين هنا وهنالك ، فإن الخطر يهدد الجميع وكلنا يركب سفينة واحدة إن نجت نجونا وإن غرقت غرقنا كما قال النبي ﷺ .

واختم بهذا السبب الخطير ألا وهو : **المدارس والجامعات ومناهج التعليم**

فإن مناهج التعليم في بلادنا تحسن أن تعلم أبنائنا العلوم والمعارف ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع !! كيف ذلك في هذا الاختلاط المروع المدمر؟ كيف يتربى الولد على الإيمان في هذه البيئة التي تثير فيه الشهوات وتحرك فيه الغرائز ؟ والعلاج أقدمه في نقاط محددة أسأل الله أن يفتح لها القلوب والآذان عند أساتذتنا الأفاضل الكرام من القائمين على أمر التربية والتعليم في بلادنا :

أولاً : جعــل مادة الدين مادة أساسية : فتصبح من مواد الرسوب والنجاح ، ليهتم بها أبنائنا وبناتنا ، بشرط أن يضع المادة العلمية الدينية والإسلامية نخبة من العلماء الأفاضل والدعاة الأجلاء ، ليضعوا المادة الهادفة الهادئة التي تربي أبناءنا وبناتنا على الإيمان بالله وعلى حب رسول الله ﷺ .

وليختار هؤلاء الأفاضل المادة أو المعلومة الدينية التي تتناسب مع كل مرحلة تعليمية من مراحل التعليم .

ثانياً : إلغاء الاختلاط إلغاءً تاماً بين الطلاب والطالبات : وإن قال المسئولون بأننا لا نقدر على هذا أقول : حتى لو كان ذلك في الفصول الدراسية على الأقل ، وهذا أضعف الإيمان .

ثالثاً : إلغاء الرحلات المختلطة بين الطلاب والطالبات في أي مرحلة من مراحل التعليم ، فإن هذه الرحلات المختلطة كانت السبب الرئيسي الخطير لهذه الظاهرة ، وما تسمعونه عن جماعة ((حورس)) ليس منكم ببعيد .

ربعــاً : **إلغاء الفترة المسائية الدراسية** للطالبات في الكليــات العملية والنظرية حتى لا تتأخر الطالبة عن وقت معين عن بيتها وأسرها .

خامساً : **مؤاخذة أي فتاة متبرجة مؤاخذة شديدة** ومنعها منعاً باتاً إن دخلت إلى الجامعة بثياب لا تتفق مع قيم ورسالة الجامعة .

سادساً : **القضاء على هذه الثنائيات المشبوهة** التي تنتشر هنا وهناك في زوايا الجامعة ، فإنها دار علم وليست دار حب وغرام !!

سابعاً : **فتح باب الكليــات والجامعات للعلمــاء العاملين والدعاة الصادقين** لإلقاء المحاضرات العلمية الهادئة الهادفة على أن يتولى هذا الأمر بصورة رسمية رئيس الجامعة ، أو عميد كل كلية على حده ، بشرط أن يشرف هذه الجلسات إخواننا المدرسين والمدرسات مع الطلاب والطالبات .

ثامناً : **مراعاة أوقات الصلاة في وضع المنهج الدراسي** حتى لا يحرم الطلبة والطالبات من أداء صلاة الظهر في وقت الدراسة مع المدرسين والمدرسات .

هذه بعض البنود العملية التي أسأل الله أن يفتح لها القلوب والآذان ووالله إنه لأمر يسير على من يسره الله عليه .

أحبتي في الله : إن المشكلة تهدد الجميع ، ولا ينبغي أن نقول بأن الصالحين بمنأى عن هذه الظاهرة .. كلا .. إن النبي ﷺ أخبرنا أننا نركب جميعاً سفينة واحدة إن نجت السفينة أي ((سفينة المجتمع)) نجا الصالحون مع الطالحين ، وإن هلكت السفينة هلك الصالحون مع الطالحين : وأخيراً - حتى لا أشق

عليكم – أنادي على هؤلاء الشباب والفتيات من أبنائنا وبناتنا ممن وقعوا في هذا المستنقع جهلاً بالدين أو جرأة على الدين .

أنادي على الجميع وأقول : هل من توبة ؟.

عد إلى الله .. ارجع إلى الله ..ارجع إلى الله أيها الفتى وأيتها الفتاة ، فإن وقع الشاب في ذلك فليذهب إلى أهل الفتاة وليعقد عليها عقداً شرعياً صحيحاً هذا هو ما قاله الشافعي وغيره .

اذهب وجدد التوبة واندم على ما مضى .. وعد إلى الله .. واعلم أن الله تواب رحيم .. يفرح بتوبتك ، وهو الغني عنك .. مهما كثرت ذنوبك ومعاصيك فاعلم أن عفو الله أعظم ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣] واعلم أيها الشاب وأيتها الفتاة : أن النبي ﷺ يقول : « **يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي اللَّيْلِ الأَوَّلِ . فَيَقُولُ : أَنَا المَلِكُ . أَنَا المَلِكُ . مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرِنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ! فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الفَجْرُ** »[1] .

---

(١) **متفق عليه** : البخاري رقم (١١٤٥) في أبواب التهجد ، ومسلم رقم (٧٥٨) في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر ، ومالك في الموطأ (٢١٤/١) في القرآن ، والترمذي (٣٤٩٣) في الدعوات ، وأبو داود رقم (١٣١٥) في الصلاة .

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ رأى امرأة في السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ألصقته ببطنها فأرضعته فقال النبي ﷺ لأصحابه ((**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟**)) قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ((**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**))[1] فعد إلى الله أيها الفتى وأيتها الفتاة .

﴿ ... **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ .

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم : ٨].

الدعـــــاء

(١) **صحيح** : رواه البخاري رقم (٥٩٩٩) في الأدب ، باب رحمة الولد .

مــن أنــا ؟!!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

أحبتي في الله :

من أنا ؟!! والجواب بالتفصيل لأهمية الجواب على هذا السؤال أؤصله بمقدمة مهمة جداً بين يدي الجواب ، وأستهل هذه المقدمة بهذه الكلمات :

أقول : إن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يغفر ، إلا أن يجهل الإنسان خالقه سبحانه وتعالى ، وسر وجوده ، والغاية التي من أجلها خلق ، فالجهل في جانب العقيدة لا يغتفر ، وهو أن يجهل الإنسان خالقه ، وأن يجهل الإنسان الغاية التي من أجلها خُلق ، فأكبر عار على هذا الإنسان الذي آتاه الله - عز وجل - العقل والإرادة وميزه على سائر المخلوقات في الكون أكبر عار عليه أن يعيش غافلاً عن الله ، فيأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام ، لا يفكر في خالق ، ولا يبحث عن غاية ، ولا عن الوظيفة الذي من أجلها خلق ولها ابتعث ، ولا يبحث عن طبيعة دوره في هذه الأرض ، حتى يأتيه الأجل والموت ، دون أن يستعد لهذا اليوم فيجني ثمرة الغفلة والجهل والانحراف في عمره الطويل أو القصير ، وحينئذ يندم يوم لا ينفع الندم ، وهو بين يدي الله تبارك وتعالى يرى نفسه أخس من البهائم والحيوانات ، فإن البهائم والحيوانات كلها عرفت ربها وسجدت له ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩** ﴾ ، وقال تعالى في شأن

هذا الصنف الذي هو أخس من البهائم ، الذي يجهل خالقه ، ويجهل غاية وجوده وسر ابتعاثه في هذه الأرض قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ تدبر القول بعد ذلك ﴿ **أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ هذا الصنف الخبيث الذي يقول قائله :

جئت لا أعلم من أين ؟ ولكني أتيت .. ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت .. كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ لست أدري !! بهيمة ، نعم بهيمة ، لا يعرف خالق ، ولا يعرف غاية وسر وجوده في هذه الأرض كما قال الله - عز وجل - ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** ﴾ فأي جهل أبشع وأفظع من أن يجهل الإنسان الذي يتعالى بعقله ، ويتعالى بإبداعاته المادية ، أي جهل هو أجهل من أن يجهل ربه وخالقه الذي خلقه وبعثه وأوجده - سبحانه وتعالى - هذا هو الجهل الذي لا يغتفر .

لهذا كان لزاماً على كل إنسان عاقل أن يبادر ويسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خُلقت ؟ ، وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ؟ وحتماً قبل طرح هذين السؤالين ، لا بد وأن تطرح على نفسك من أنا ؟ من أوجدني ؟ من خلقني ؟ تسأل نفسك أيضاً إلى أين ؟ ما هو المصير ؟ وإلى أين أسير ؟ لا بد أن تطرح

على نفسك هذه الأسئلة لتتعرف على الغاية التي من أجلها خُلقت ، فإن عرفت من خالقك ، وعرفت الغاية التي من أجلها خلقت ، حينئذٍ ستعرف من أنت ، وستعرف مصيرك ومسيرك ، فلا بد من الإجابة على هذه الأسئلة ، من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ أي : ولماذا خلقت ؟.

هذه هي الأسئلة التي صاحبت الإنسان في كل فترات حياته ، وفي كل مكان وجد فيه ، وهي تطلب من أي إنسان الجواب الشافي لها في كل مرحلة من مراحل العمر ، وفي كل مكان على وجه البسيطة من يوم خلق الله - عز وجل - آدم - عليه السلام - من أين جئت أنا ؟ وإلى أين أسير ؟ ما هو مصيري ؟ وما هو مسيري الذي أتجه فيه ؟ وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ، ولأجلها بعثت ؟ ولا بد من هذه المقدمة قبل أن أشرع في الحديث عن العبادة تأصيلاً لغوياً واصطلاحياً .

أقول : أما السؤال الأول : من أنا ؟ أو من أين أنا ؟ فهو عقدة العقد عند الماديين الملحدين في كل زمان ومكان أن يجيبوا أو أن يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال ، من أين ؟ من الذي خلقني ؟ ومن الذي أوجدني ؟ هؤلاء الذين لا يؤمنون إلا بما تقع عليه الحواس أي : إلا بما تراه الأعين فهو يؤمن بهذا المصباح الذي يراه بعينه منيراً مضيئاً ، لكنه في الوقت ذاته يغض الطرف عن تيار كهربائي لا يراه بعينه الذي هو سر إضاءة هذا المصباح !! فهو مادي أعمى لا يؤمن إلا بما تراه عينه حتى ولو كذبه عقله ، هؤلاء

يتخذون منطق العقل في رؤسهم - زعموا - دليلاً على الوصول إلى الحق والحقيقة ، ويصرون في عمى عجيب على أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وُجِدَ وحده ، وكل ما في هذا الكون من إحكام وترتيب إنما هو صنع المصادفة العمياء !!

أما الذين يستجيبون لنداء الفطرة في كل زمان ومكان ، فهؤلاء يقرون حتماً بأن لهذا الكون إله ورباً حكيماً عظيماً جل جلاله ، تتجه قلوبهم إليه - سبحانه وتعالى - بالتعظيم ، والرجاء ، والخشية ، والتفويض ، والتوكل ، والإنابة والعبادة بصفة عامة ، يشعرون بخالق هذا الكون ويتجهون إليه سبحانه بفطرهم السليمة النقية التي لم تعكرها الماديات والشبهات والشهوات ، قال تعالى ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم : ٣٠].

لكن هذا الصوت - أعني صوت الفطرة - قد يخفت في قلب وعقل إنسان ، أو قد يكبت هذا الصوت صاحبه عمداً ، نعم عمداً عن كبر ، فالمشركون ما أنكروا هذه الحقيقة ، ما أنكروا أن الله - عز وجل - هو الخالق بل كفروا به - سبحانه وتعالى - كبراً وعناداً ، ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [الصافات : ٣٥].

قال تعالى ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل : ١٤].

فهؤلاء يقرون بهذه الحقيقة لكنهم قد يرفضونها كبراً وعناداً - وركزوا معي جيداً ، فهذا كلام مهم جداً - فالفطرة قد تخفت في قلب وعقل إنسان عن قصد ، وعن عمد من صاحبه ، فإذا نزلت بهذا الإنسان نفسه أزمة أو أحداث مريرة أو مشكلة واهتز هذا الإنسان أمام هذه الأزمة وهذه الشدة وخاب أمله في كل الناس من حوله تراه ينطلق مرة أخرى مستجيباً لهذا الصوت الذي يعلو في أعماقه ، ألا وهو صوت الفطرة فيتجه مرة أخرى رغم أنفه لله - جل وعلا -.

تدبر معي هذا الحوار النفيس الجميل ، فلقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق ﷺ عن الله ، فقال له جعفر : ألم تركب البحر ؟! فقال : بلى . فقال جعفر : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم ريح عاصفة ؟! قال : نعم . قال جعفر : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم ، قال : فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟! قال : نعم ، قال : هذا هو الله - سبحانه وتعالى -.

وهذه الحقيقة تثبتها آيات كثيرة جداً في القرآن ، تدبر معي قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

[يونس : ١٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [لقمان : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ...** ﴾ [الإسراء : ٦٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه طبيعة الإنسان !! قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الانفطار : ٦ - ٨] فإذا كان منطق الفطرة يهدي إلى الله تعالى ، والفطرة ليست وجداناً خالصاً ، بل وليست عقلاً خالصاً ، ولكنها مزيج بين الوجدان - أي القلب - والعقل .

أقول مع ذلك ، فإن العقل السوي فقط يرى الإيمان بالله تعالى ضرورة لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يعيش بدونها ، فإن العقل بغير تعلم ، وبغير اكتساب يؤمن حتماً بقانون السببية ، هذه الورقة في يدي الآن تهتز لسبب ، هذا هو قانون السببية ، لأنني أحركها ، فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية ، يؤمن بهذا القانون إيمانه بكل البدائيات والأولويات التي لا تحتاج إلى دليل ، يعني لا ينبغي لعاقل إذا رأى الشمس ساطعة في أفق السماء أن يقول : ما هو الدليل على أن الشمس طالعة ؟ بل يجب أن يسأل : ما هو الدليل على وجود عقله في رأسه ؟ كهذا الذي دخل يوماً على طلابه وأراد بهذا القانون أن يثبت الضد ، فقال لهم : يا أولاد هل

ترون أستاذكم ؟ قالوا : نعم ، فقال : هل ترون السبورة التي أكتب لكم عليها ؟ قالوا : نعم ، قال : هل ترون الكرسي الذي أجلس عليه ؟ قالوا : نعم ، وتدرج بهذه الأسئلة إلى أن قال لهم : هل ترون الله ؟ قالوا : لا ، قال : إذاً غير موجود !! فقيض الله تلميذاً صغيراً من تلاميذه ، فاستأذن أستاذه ووقف إلى جواره ، واتجه التلميذ إلى زملائه وقال : يا إخواني هل ترون عقل الأستاذ ؟ قالوا : لا ، قال : إذاً غير موجود !!

فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية إيمانه بالأمور الأولية الابتدائية التي لا تحتاج إلى دليل على وجودها ، فلا يقبل أبداً العقل السوي فعلاً بغير فاعل أبداً ، ولا يقبل العقل السوي صنعاً بغير صانع .

وهذا القانون هو الذي عبر عنه الأعرابي الأول ببساطة شديدة حيث لم يتخرج في جامعة من الجامعات ، وإن شئت فقل ما تخرج إلا من جامعة الفطرة ، حينما سئل عن الله – عز وجل – فقال بعقله الذي آمن بقانون السببية البدائي هذا فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير ؟.

هذا هو القانون ببساطة شديدة ، هذا هو الذي عبر عنه الإمام أحمد – إمام أهل السنة طيب الله ثراه – حينما أمسك البيضة يوماً ، وقال : هذا حصن حصين أملس ليس له باب ، وليس له منفذ ، كالفضة البيضاء ، وباطنه

كالذهب الأبريز ، وبينما هو كذلك إذ انصدع جداره ، وخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن ، وصوت مليح !!

هذا هو القانون الذي عبر عنه الإمام الشافعي حينما أمسك ورقة التوت يوماً فقال : ورقة التوت تأكلها الغزالة فتعطينا مسكاً ، وتأكلها الشاة فتعطينا لبناً ، وتأكلها دودة القز فتعطينا حريراً !!

إن الطعام واحد ، ولو كانت الأمور بالمصادفة العمياء ، لكانت عصارة الطعام للطعام الواحد واحدة ، ولكنها كانت في الشاة لبناً ، وكانت في الغزالة مسكاً ، وكانت في الدودة حريراً ، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

يقول عالم الطبيعة المشهور إسحاق نيوتن : لا تَشُكُّوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة هذا الوجود !!

ليس ممكناً أبداً أن تكون الصدفة هي التي خلقت هذا الوجود بهذا الإبداع ، والجلال ، والجمال .

والله العظيم لو نظر عالم من هؤلاء العلماء الذين لا يؤمنون بالله ، والله لو نظر إلى كوز الذرة لَوَحّد الله وعبده ، هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء كيف رُصَّتْ على القولحة بهذا الجمال والإتقان والتناسق والإبداع ، والله لو أنصف لوحد الله وعبده .

يقول سبنسر نقلاً عن عالم آخر يقال له هرشل : إن العالم الذي يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسجين والهيدروجين بنسبة خاصة (ذرة أكسجين ، وذرتين هيدروجين) ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء يعتقد في عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بصورة هي أقوى وأعظم من هذا الذي لا يرى في قطرة الماء إلا أنها نقطة ماء فحسب !!

فالعالم الذي يدرك الحقائق ينظر إلى هذه الآية فيزداد إيماناً بالله سبحانه وتعالى فيختلف عن إيمان العبد الذي ينظر إلى قطرة الماء على أنها قطرة ماء .

يقول فرنسيس بيكون : إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد .

فهذه الفلسفة طريق للإلحاد ، والعجيب أنهم كانوا يدرسون لنا في الثانوية قاعدة تقول : (أنا أشك إذاً أنا موجود) ولو صدقوا لقالوا : (أنا أشك إذاً أنا دبوس) لكن ما هي علاقة الشك بالوجود ؟ أي أنه بدأ حياته بالشك ابتداءً ، والشك لا يمكن أبداً أن يوصل إلى حقيقة مطلقة أبداً ، بل إن عصفت رياح الشكوك بالقلوب ضل الخلق ، ولذلك ربنا - سبحانه وتعالى - يصف المؤمنين بأن رياح الشك لا تهب ولا تعصف بقلوبهم أبداً ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [الحجرات : ١٥] أي : لم يتشككوا؛إن من يبدأ بالشك لكي يصل إلى الحقيقة : هذا إضلال لعقول أبنائنا وأولادنا ، وكم من الناس من اقتنع بهذه النظريات الفلسفية

الباهتة الفارغة ، التي يغني بطلاها من إبطالها ، لكننا وبكل أسف كنا نسلم القلوب والعقول لهؤلاء على أنهم لا ينطقون عن الهوى ، فإذا جاء القول من عالم غربي سلمنا العقل والقلب وكأنه لا يخطئ !!

ثم جاء بعد ذلك صنف خبيث ممن ينسبون إلى الإسلام في بلاد المسلمين ضخموا ، ونفخ فيهم ليكونوا شيئاً مذكوراً وهم في الحقيقة كالطبل الأجوف ، يُسمَعُ من بعيد وباطنه من كل الخيرات خالٍ .

يقول فرنسيس بيكون : « إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد ولكن التعمق فيها – تعمق العقل في هذه الأشياء بإنصاف – ينتهي بالعقول إلى الإيمان ذلك لأن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة هنا ينكر فلا يتابع السير إلى ما وراءها ولكنه إذا أمعن النظر شهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بداً من التسليم بالله سبحانه وتعالى .

هذه شهادة أولئك الذين رسخوا في علم الكون – الطبيعة والفزياء – وأنا لا أريد أن أستطرد في أقوالهم ، وأنا لا استشهد بأقوال أهل العلم من علماء الطبيعة ، والجيولوجيا ، والفلك ، والرياضيات على صحة وصدق قول الله وقول الرسول ﷺ لا ، ولا أستشهد بالنظريات العلمية على صدق كلام رب البرية وكلام سيد البشرية ، إنما أثبت للناس ممن – وبكل أسف – يصدقون ما يأتي من الغرب أكثر من تصديقهم لا أقول لكتاب الله ، بل أشد

من تصديقهم لكلام الله ورسوله ، نعم هذا صنف موجود أنا لا أبالغ ، ولا أغالي ، ولا أجيش العواطف بكلام فارغ أجوف ورحم الله تعالى القائل :

لله في الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداك ؟!
ولعل ما في النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك
الكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعياك
قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك ؟!
قل للمريض نجا وعُوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاك ؟!
قل للصحيح مات لا من علة من يا صحيح بالمنايا دهاك ؟!
بل سائل الأعمى خطى وسط الزحام بلا اصطدام من يا أعمى يقود خطاك ؟!
بل سائل البصير كان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهواك ؟!
وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى من ذا الذي يرعاك ؟!
وسل الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك ؟!
وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك ؟!
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك ؟!
بل سائل اللبن المصفى من بين فرث ودم من ذا الذي صفاك ؟!
وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا ميت فاسأله من أحياك ؟!
وإذا رأيت النبت في الصحراء يربو وحدة فاسأله من أحياك ؟!

وإذا رأيت النخــل مشقوق النوى فسأله من يا نخــل شق نــواك ؟!
وإذا رأيت البــدر يسرى ناشــراً أنــواره فسأله مــن أســراك ؟!
وإذ ترى الجبل الأشم مناطحاً قمم السـحاب فسله مــن أرساك ؟!
وإذا رأيت النـار شـب لهيبهـا فسأل لهيب النـار مــن أوراك ؟!

هذا جواب على سؤالنا الأول من أنا ؟

أخلص من هذه الكلمات الدقيقة المهمة إلى هذه الحقيقة الكبيرة ألا وهي أن الإيمان بالله تبارك وتعالى ليس غريزة فطرية فحسب ، ولكنه ضرورة عقلية أيضاً ، وبدون هذا الإيمان سيظل هذا السؤال يحتاج إلى جواب .

ذلكم السؤال الخالد في قول الله تعالى : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ** ﴾ [الطور : ٣٥ - ٣٦].

سيظل هذا السؤال مطروحاً يحتاج إلى جواب من هؤلاء المعاندين ، والجواب : لا ، لا يقول عاقل أنه خلق من غير شيء ، والسؤال الثاني : فهل خلقوا أنفسهم ، والجواب : لا ، ما زعم عاقل على وجه الأرض منذ أن خلق الله ومن عليها خلق نفسه أو خلق الأرض أو خلق السماوات ، فيبقى السؤال مطروحاً ويحتاج إلى جواب من كل عاقل منصف على وجه الأرض ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ** ﴾ [الطور : ٣٥ - ٣٦].

فهم يقولون ببساطة شديدة في مصير هذا الإنسان بعد رحلة هذه الحياة الدنيا يقولون : إنه الفناء والعدم المطلق أن تطويه الأرض في بطنها كما طوت

ملايين الحيوانات الأخرى وأن تعيد هذا الجسد مرة أخرى إلى عناصره الأولى فيعود تراباً ثم تذروه الرياح ، وهكذا ..!!

هذه هي قصة الحياة عند هؤلاء الماديين أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا جزاء ولا حساب ، ولا نعيم ولا عذاب ..!! يستوي في ذلك عند هؤلاء من أحسن غاية الإحسان ، ومن أساء غاية الإساءة ..!! يستوي في ذلك من عاش عمره للناس على حساب شهواته ، ومن عاش عمره لشهواته على حساب الناس ..!! يستوي في ذلك من ضحى بحياته في سبيل الحق ومن ضحى بالحق في سبيل حياته ..!! يستوي في ذلك من اعتدى على حياة الآخرين في سبيل الباطل ، ومن عاش من أجل أن يرد ويدفع الباطل ..!! يستوي في ذلك من عبد الله وحده لا شريك له ، ومن عبد آلهة أخرى باطلة مدعاة ..!! يستوي في ذلك الموحدون والمشركون ..!! يستوي في ذلك الظالمون والمظلومون ..!! يستوي في ذلك المعذبون والمقهورون والمعذبون ..!! هذا ظلم .. أما المؤمن الذي مَنَّ الله عليه بالإيمان وأكرمه بالقرآن ، وبرسالة محمد ﷺ فإنه لا يتلعثم في الجواب طرفة عين ، يعرف المؤمن مصيره ، ويعرف المؤمن مسيره ، يعرف المؤمن أين يصير ، ويعرف المؤمن المصير ، فهو يؤمن بقول الملك القدير ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾ شتان شتان ، بين مادي ملحد يسوي بين هذين الصنفين ممن ذكرت ، وبين مؤمن يعرف أن الله – عز وجل – هو العدل وهو الحق ، فالمؤمنون يعلمون أنهم

خلقوا لحياة الخلود ودار البقاء وهم في هذه الحياة الدنيا إنما يستصلحون وينقون ، ويهذبون ، ويعدون في هذه الدار إعداداً ليؤهلهم للعيش في دار البقاء ، ليطيبهم الله تبارك وتعالى ، ليكونوا أهلاً لدار طيبة يكونوا أهلاً لسلام الملائكة عليهم إذا دخلوا جنة ربهم جل وعلا وهم يقولون ﴿ **سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ .

إخوة الإسلام : إنه لعسير على العقل السوي أن يؤمن بخالق عليم عظيم حكيم أحسن هذا الكون خلقاً وصنعاً ، وقدر فيه كل شيء تقديراً بحكمة ، ثم يؤمن بعد كل ذلك أن سوق الحياة ستنفض بالموت وقد سرق من سرق ، ونهب من نهب ، وكفر من كفر ، وظلم من ظلم وأساء من أساء واعتدى من اعتدى ، ثم لا يقف بعد ذلك هؤلاء جميعاً بين يدي الله تعالى ليقتص للمظلوم من الظالم ، وليثيب الموحد على توحيده ، والعابد على عبادته ، لا يصدق عقل سَوِيّ مثل هذا أبداً ، وما أروع كلام الله – سبحانه وتعالى – ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ [المؤمنون : ١١٥– ١١٦].

وما أروع قول الله تعالى ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة : ٣٦].

أي مهملاً لا سؤال ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ، كلا .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٧- ٢٨]

وقال جل وعلا : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان : ٣٨ - ٤٠].

ومن أجمل وألطف ما قرأت في سنن ابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ((**أَلاَ تُحدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرضِ الحَبَشَةِ ؟**)) قال فتية منهم : بلى يا رسول الله ! بينا نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم ، يا غدر ! إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً . قال : يقول رسول الله ﷺ : ((**صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخذُ لِضَعِيفِهِم مِن شَدِيدِهِمْ ؟!**))[1].

---

(١) حسن : رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٠) في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسنه الألباني في مختصر العلو .

انظروا إلى فطرة هذه المرأة ، وكيف أبرزت مشهداً من أعظم مشاهد يوم القيامة ، ألا وهو مشهد الحساب ، ومشهد الميزان ، ومشهد الحق ، نعم إنه مشهد حق ، فلا بد من قصاص :

أيها المظلوم صـــبراً لا تهن إن عين الله يقظى لا تنام
نم قرير العين واهنأ خاطرا فعدل الله دائم بين الأنام

أيها الظالمون ، فإنا متظلمون ، وإنا إلى الله شاكون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فلا بد من وقفة يقف فيها الجميع بين يدي الله تبارك وتعالى ليجازي الله كل واحد بعمله ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨].

قال سبحانه : ﴿ **وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [الإسراء : ١٣ ، ١٤].

فالمؤمن يعرف المسير ، ويعرف المصير ، يعرف أن المؤمنين إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، وأن الكافرين إلى نار ، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنان ، وأن يحرمنا وإياكم على النار ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والسؤال الثالث والأخير والمهم : بعدما عرف الإنسان خالقه ، وبعدما عرف الإنسان مسيره ، ومصيره يجب عليه أن يسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خلقت ؟ ما هي الغاية التي من أجلها خلقت ؟ .

والجواب عند المؤمنين حاضر لا يحتاج إلى تفكير ، فكل صانع يعلم سر صنعته ، لماذا صنعها ؟ ولماذا صنعها على نحو معين ؟ .

فالمؤمن حينما يبحث عن هذا السؤال عند خالقه يرى الجواب واضحاً ، إن سئلت لماذا خلقت ؟ سيأتي الجواب من خالقك الذي يعلم الغاية من خلقك ، بل الذي خلقك لغاية يعلمها ويريدها – سبحانه وتعالى – سيأتي الجواب واضحاً ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾

[الذاريات : ٥٦ – ٥٨].

وتدبروا معي هذه الآية الجميلة التي قل من فكر فيها منا ، قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق : ١٢] فهذه الآية جعلت معرفة الله – سبحانه تعالى – هي الغاية من خلق السماوات والأرض ، فالغاية هي أن تعرف الله ، أن تعرف أسماء جلاله ، أن تعرف صفات كماله ، أن تعرف قدره ، أن تعرف عظمته ، أن تعرف أنك ما خلقت إلا لتوحده ، أنك ما خلقت إلا

لتعبده ، أنك ما خلقت إلا لتخشاه ، إلا لترجوه ، إلا لتتوكل عليه ، إلا لتخلص العبادة له وحده بلا منازع أو شريك ، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦].

فالإنسان وبكل أسف يسأل عن الغاية التي من أجلها خلق كل شيء في الكون ، مع أن كل شيء في الكون خلق من أجلك أنت أيها الإنسان .

فأنت تسأل لماذا خلقت السماوات ؟ لماذا خلقت الأرض ؟ لماذا شق الله البحار ؟ لماذا تجري الأنهار ؟ لماذا خلق الله الأزهار ؟ لماذا كذا ؟ لماذا كذا ؟ في الوقت الذي لا يسأل الإنسان عن سبب خلق نفسه هو ، وعن غاية خلقه ، لماذا خلقت أنا ؟ إن سألت : الله عز وجل خلق الماء للأرض ، وخلق الله – عز وجل – الأرض للإنبات وللحياة ، وخلق الله – عز وجل – النبات للحيوان وللإنسان ، وخلق الله – عز وجل – الحيوان للإنسان ، وخلق الله – عز وجل – الإنسان له وحده ، نعم أنت مخلوق لله وحده ، أنت مربوب لله وحده ، لا يجوز لك ألبتة أن تصرف العبادة لغير خالقك – سبحانه وتعالى – ، فالإنسان لله ، مخلوق لله ، ليفرد الله خالقه بالعبادة وحده بلا منازع أو شريك ، هذه العبادة لله وحده ، وهي الميثاق العظيم الذي أخذه الله على الخلق قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [يس : ٦٠ – ٦١] ، وقال تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ**

عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢- ١٧٣] ، فلا عجب أن تكون العبادة هي الصيحة الأولى لكل نبي ، وهي التوجيه الأول لكل رسول ، فما من نبي ولا رسول بُعث في قومه إلا ودعا قومه أول ما دعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، هذه دعـــوة آدم ، وهذه دعوة إبراهيم وموسى وعيسى وهذه دعوة محمد ﷺ .

قال الله – عز وجل – ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

قال الله – عز وجل – ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

قال الله – عز وجل – ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِـــدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ، فالعبادة أمر الله بها كل الخلق وأمر بها سيد الخلق ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ، واليقين هنا هو الموت .

فالتكليف بالعبادة لازم للنبي ﷺ ، ولكل بشر على وجه الأرض حتى يلحق بربه تبارك وتعالى ، بل وبين الله – عز وجل – أن المسيح عيسى ابن مريم الذي عبده النصارى وجعلوه إله من دون الله ، بين عبوديته له –

سبحانه وتعالى – فقال جل وعلا : ﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعً** ﴾ [النساء : ١٧٢] ، وعبادة الله هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق .

وأكتفي بهذا القدر ، وصلي اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم .

الدعـــــاء

فهرس الجــزء الثاني عشر

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه